سورة الشعراء

هي مكيةٌ في قول الجمهور. وقال مقاتل: منها مدنِيٌّ؛ الآية التي يُذكَرُ فيها الشعراء، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[1]. وقال ابن عباس وقتادة: مكيةٌ إلَّا أربع آياتٍ منها نزلت بالمدينة، من قوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ إلى آخرها[2]. وهي مئتان وسبعٌ وعشرون آية[3]. وفي رواية: سِتٌّ وعشرون[4]. وعن ابن عباسٍ: قال النبيُّ ﷺ: «أُعطيتُ السورةَ التي تُذكَرُ فيها البقرة من الذِّكْرِ الأوَّلِ، وأُعطيتُ طه وطسم من ألواح موسى، وأُعطيتُ فواتحَ القُرآنِ وخواتيمَ سورةِ البقرة من تحت العرش، وأُعطيتُ المُفصَّلَ نافلةً[5]». وعن البراء بن عازب، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ اللهَ تعالى أعطاني السَّبعَ الطِّوالَ مكانَ التوارةِ، وأعطاني المِئِين[6] مكانَ الإنجيل، وأعطاني الطَّواسين مكان الزبور، وفضَّلني بالحواميم والمُفصَّلِ ما قرأهُنَّ نبيٌّ قبلي[7]».

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٤ .

(٢) النكت والعيون ٤/ ١٦٣ ، وزاد المسير ٦/ ١١٤ .

(٣) تفسير البغوي ٣/ ٣٧٩ .

(٤) تفسير الرازي ٢٤/ ١١٩ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٨٨ إلى ابن مرديه. وأخرجه الطبراني في الكبير ٢٠/ (٥٢٥) من حديث معقل بن يسار ﷺ، وفيه: «الطور» بدل «طسم». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧٠ : فيه عبيد الله بن أبي حميد، أجمعوا على ضعفه.

(٦) في (م): المبين .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٣٤٤ إلى ابن نصر وابن مردويه من حديث أنس بن مالك ﷺ. وأخرجه بغير هذا السياق أحمد (١٦٩٨٢) من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ. وقال السندي في حاشيته على المسند: المئون: ما كان من سور القرآن عدد آيهِ مئة آية أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص منها شيئاً يسيراً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ قرأ الأعمشُ ويحيى وأبو بكرٍ والمُفضَّلُ وحمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ: بإمالة الطَّاءِ مُشبعاً في هذه السورة وفي أُختيها[1]. وقرأ نافعٌ وأبو جعفرٍ وشيبةُ والزُّهريُّ: بين اللفظين، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم[2]. وقرأ الباقون بالفتح مُشبَعاً. قال الثَّعلبي: وهي كلُّها لغاتٌ فصيحة. وقد مضى في «طه»[3] قولُ النَّحاسِ في هذا. قال النَّحَّاس[4]: وقرأ المدنيون[5] وأبو عمرو وعاصم والكسائي: «طسم» بإدغام النون في الميم، والقُرَّاء يقولون[6] بإخفاء النون[7]. وقرأ الأعمش وحمزة:

---

(١) السبعة ص٤٧٠ ، والتيسير ص١٦٥ عن حمزة والكسائي، والنشر ٢/ ٧٠ عنهما وعن خلف، والبغوي ٦/ ١١٤ عن المفضل.

(٢) نقل ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٤ عن أبي حاتم أنه اختار فتح الطاء .

(٣) ١٤/ ١٢-١٣ .

(٤) في إعراب القرآن ٣/ ١٧٣ .

(٥) هي قراءة نافع، أما قراءة أبي جعفر فهي بإظهار النون مثل قراءة حمزة الآتية. النشر ٢/ ١٩ .

(٦) المثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٧٣ ، والكلام منه، ووقع في غير (ظ): والفراء يقول.

(٧) يعني الإخفاء بمعناه اللغوي، وليس المراد الإخفاء الاصطلاحي. قال أبو البقاء العكبري في اللباب في علل البناء والإعراب ٢/ ٤٦٩ : أصل الإدغام في اللغة الإخفاء والإحكام.

«طسين ميم» بإظهار النون[١]. قال النَّحَّاس: للنون الساكنة والتنوين أربعةُ أقسامٍ عند سيبويه: يُبيَّنانِ عند حروف الحلق، ويُدْغَمانِ عند الرَّاءِ واللَّامِ والميمِ والواوِ والياء، ويُقلَبان ميماً عند الباءِ ويكونانِ من الخياشيم؛ أي: لا يُبيَّنان؛ فعلى هذه الأربعة الأقسام التي نصَّها سيبويه لا تجوز هذه القراءة؛ لأنَّه ليس هاهنا حرفٌ من حروف الحلق فتُبيَّنُ النون عنده، ولكن في ذلك وُجَيْهٌ: وهو أنَّ حروفَ المعجم حكمُها أنْ يُوقَفَ عليها، فإذا وُقِفَ عليها تبيَّنتِ النُّون. قال الثعلبيُّ: الإدغامُ اختيار أبي عبيدٍ وأبي حاتمٍ قياساً على كلِّ القرآن، وإنَّما أظهرها أولئك للتَّبيين والتَّمكين، وأدغمَها هؤلاء لمجاورتِها حروفَ الفم. قال النَّحَّاس[٢]: وحكى أبو إسحاق في كتابه «فيما يُجرى وفيما لا يُجرى» أنَّه يجوز أنْ يُقال: «طسينَ ميمُ» بفتح النون وضمِّ الميم، كما يُقال: هذا مَعْدي كربُ.

وقال أبو حاتم: قرأ خالد: «طسينَ ميمُ».

ابن عباس: «طسم» قَسَمٌ، وهو اسمٌ من أسماء الله تعالى[٣]، والمُقَسَمُ عليه: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾. وقال قتادة: اسمٌ من أسماء القرآن أقسمَ اللهُ به. مجاهد: هو اسمُ السورة[٤]. الحسن[٥]: افتتاح السورة[٦]. الربيع: حساب مُدَّة قوم. وقيل: قارعةٌ تَحُلُّ بقوم. «طسم» و«طس» واحد. قال:

وَفاؤُكُمَا كالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طاسِمُهْ بأن تُسْعِدا والدَّمعُ أَشْفاهُ ساجِمُهْ[٧]

---

(١) قراءة حمزة في السبعة ص٤٧٠، والتيسير ص١٦٥.

(٢) في إعراب القرآن ٣/ ١٧٣-١٧٤، وينظر الكتاب ٤/ ٤٤٥ فما بعده.

(٣) أسماء الله عز وجل توقيفية، يتوقف في إثباتها على ما صح من النصوص، ولم يثبت في ذلك نص.

(٤) النكت والعيون ٤/ ١٦٣، والوسيط ٣/ ٣٥٠، وتفسير البغوي ٣/ ٣٧٩. وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٧٣، والطبري ١٧/ ٥٤٢.

(٥) في (د) و(ز) و(م): ويحسن.

(٦) النكت والعيون ٤/ ١٦٣.

(٧) قائله المتنبي، وهو في ديوانه ص٢٥٦. قال البرقوقي في شرحه ٤/ ٤٣: أشجاه: أشده شجواً، من =

وقال القُرظيُّ: أقسم الله بطَوْله وسنائه ومُلكه[١]. وقال عبد الله بن محمد بن عَقِيل: الطَّاءُ طورُ سيناء، والسِّينُ إسكندرية، والميم مكة[٢]. وقال جعفر بن محمد بن عليّ: الطَّاءُ شجرةُ طوبى، والسِّينُ سِدرةُ المنتهى، والميمُ محمدٌ ﷺ[٣]. وقيل: الطَّاء من الطَّاهر، والسِّينُ من القُدُّوس ـ وقيل: من السَّميع، وقيل: من السَّلام ـ والميمُ من المجيد. وقيل: من الرَّحيم. وقيل: من المَلِك[٤]. وقد مضى هذا المعنى في أول سورة «البقرة[٥]». والطَّوَاسيمُ والطَّواسينُ سُوَرٌ في القرآن جُمِعَتْ على غير قياس. وأنشد أبو عُبيدة:

وبالطَّواسِيمِ التي قد ثُلِّثتْ وبالحوامِيمِ التي قد سُبِّعتْ

قال الجوهري: والصوابُ أن تُجمَعَ بذواتِ وتُضافَ إلى واحد، فيُقال: ذوات طسم، وذواتُ حم[٦].

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ رفعٌ على إضمار مبتدإٍ، أي: هذه «تِلْكَ آياتُ الكتابِ الْمُبين» التي كنتُم وعِدتُم بها؛ لأنَّهم قد وُعِدوا في التوراة والإنجيل

= قولك: شجاني هذا الأمر، أي: أحزنني. والطاسم: الطامس الدارس. بأن تسعدا: أي: تساعدا وتعاونا. وسجم الدمع: سال وهطل. يخاطب خليليه اللذين عاهداه على أن يساعداه على البكاء عند ربع الأحبة يقول لهما: إن وفاءكما بأن تساعداني على البكاء كهذا الربع، فإن الربع كلما تقادم عهده كان أشجى لزائره وأشد لحزنه؛ لأنه لا يتسلَّى به المحب، وكذلك وفاؤكما كلما ضعف وقلَّ إسعادكما لي على البكاء اشتدَّ حزني، إذ لا أجد من أتسلَّى به. ثم قال: والدمع أشفاه ساجمه، كأنه يقول: إن لي العذر في البكاء، أما أنتما فخليَّان، إذ لو كنتما محزونين مثلي لاستشفيتما بالدمع كما هو شأن المحزون مثلي.

(١) الوسيط ٣/ ٣٥٠، وتفسير البغوي ٣/ ٣٧٩، وزاد المسير ٦/ ١١٥.

(٢) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ١٩/ ١٣٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١١٥ عن علي مرفوعاً.

(٣) مجمع البيان ١٩/ ١٣٧، وزاد المسير ٦/ ١١٥.

(٤) النكت والعيون ٤/ ١٦٤.

(٥) ١/ ٢٣٥.

(٦) الصحاح (حمم) و(طسم).

بإنزال القرآن[١]. وقيل: «تِلْكَ» بمعنى هذه[٢].

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: قاتلٌ نفسَك ومُهلِكُها. وقد مضى في «الكهف[٣]» بيانُه. ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لتركهم الإيمان. قال الفرَّاء[٤]: «أنْ» في موضع نصب؛ لأنَّها جزاء. قال النَّحَّاس[٥]: وإنَّما يُقال: «إنْ» مكسورةً؛ لأنَّها جزاء، كذا المُتعارف. والقول في هذا ما قاله أبو إسحاق في كتابه في القرآن؛ قال: «أَنْ» في موضعِ نصبِ مفعولٍ من أجله، والمعنى: لعلَّكَ قاتِلٌ نفسَك لتركِهِمُ الإيمان.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ أي: معجزةً ظاهرةً وقدرةً باهرةً، فتصير معارفُهم ضروريةً، ولكِنْ سبقَ القضاءُ بأن تكون المعارفُ نظرية. وقال أبو حمزة الثُّماليُّ في هذه الآية: بلغني أنَّ هذه الآية صوتٌ[٦] يُسمَعُ من السماء في النِّصفِ من شهر رمضان، تخرجُ به العواتق من البيوت وتضِجُّ له الأرض[٧]. وهذا فيه بعدٌ؛ لأنَّ المُرادَ قريشٌ لا غيرَهم.

﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ﴾ أي: فتظَلُّ أعناقُهم[٨] ﴿لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ قال مجاهد: أعناقهم: كبراؤهم[٩]. وقال النَّحَّاس: ومعروفٌ في اللغة؛ يُقال: جاءني عُنُقٌ من النَّاس أي: رؤساءُ منهم. أبو زيد والأخفش: «أَعْنَاقُهُمْ» جماعاتهم؛ يقال: جاءني عُنُقٌ من الناس

(١) إعراب القرآن ٣/ ١٧٤.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٦١.

(٣) ١٠/ ٣٤٨.

(٤) في معاني القرآن له ٢/ ٢٧٥.

(٥) في إعراب القرآن ٣/ ١٧٤.

(٦) في (م): بلغني أن لهذه الآية صوتاً. والمثبت من (ظ).

(٧) مجمع البيان ١٩/ ١٣٨.

(٨) إعراب القرآن ٣/ ١٧٤.

(٩) تفسير البغوي ٣/ ٣٨١.

أي: جماعة[١]. وقيل: إنَّما أرادَ أصحابَ الأعناق، فحذفَ المضافَ وأقام المضافَ إليه مقامَه[٢]. وقال قتادة: المعنى: لو شاءَ لأنزلَ آيةً يذِلُّون بها، فلا يلوي أحدٌ منهم عُنُقَه إلى معصية[٣]. ابن عباس: نزلَتْ فينا وفي بني أمية، ستكون لنا عليهم الدُّوْلةُ فتَذِلُّ لنا أعناقُهم بعد معاوية. ذكره الثَّعلبي والغزنوي[٤]، والله أعلم. وخاضعينَ وخاضعةً هنا سواء. قاله عيسى بن عمر واختاره المُبرِّد[٥]. والمعنى: إنَّهم إذا ذَلَّتْ رقابُهم ذَلُّوا؛ فالإخبارُ عن الرقاب إخبارٌ عن أصحابها، ويسوغُ في كلام العرب أن تتركَ الخبرَ عن الأولِ وتُخبِرَ عن الثاني؛ قال الراجز:

طولُ اللَّيالي أسرعتْ في نَقْضي ... طَوَينَ طُولي وطَوَينَ عَرْضي[٦]

فأخبر عن الليالي وترك الطول. وقال جرير[٧]:

أرَى مَرَّ السنينَ أَخَذْنَ مِنِّي ... كما أَخَذَ السِّرارُ من الهِلالِ

وإنما جاز ذلك؛ لأنَّه لو أسقط مرَّ وطُولَ من الكلام لم يفسُدْ معناه، فكذلك ردَّ الفعلَ إلى الكناية في قوله: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ﴾ لأنَّه لو أسقطَ الأعناقَ لَما فسدَ الكلام، ولأدَّى ما بقي من الكلام عنه حتى يقول: فظلُّوا لها خاضعين. وعلى هذا اعتمد الفرَّاء وأبو عبيدة[٨]. والكسائيُّ يذهبُ إلى أنَّ المعنى: خاضِعيها هم، وهذا خطأٌ عند البصريِّين والفرَّاء. ومثل هذا الحذف لا يَقعُ في شيءٍ من الكلام. قاله النَّحَّاس[٩].

---

(١) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٦٢-٦٣.

(٢) النكت والعيون ٤/ ١٦٥.

(٣) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٠. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٧٣، والطبري ١٧/ ٥٤٤-٥٤٥.

(٤) وذكره الطبرسي في مجمع البيان ١٩/ ١٣٨.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٦٣. واختيار المبرد في الكامل ٢/ ٦٦٨.

(٦) قائله الأغلب العجلي، وهو في خزانة الأدب ٤/ ٢٢٦.

(٧) في ديوانه ٢/ ٥٤٦، وقد سلف ٩/ ٣٠٤.

(٨) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٧، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٣.

(٩) في معاني القرآن له ٥/ ٦٢ و٦٥.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ تقدَّم في «الأنبياء[١]». ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ أي: أعرضوا، ومَنْ أعرضَ عن شيءٍ ولم يقبَلْه فهو تكذيبٌ له. ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وعيدٌ لهم، أي: فسوف يأتيهم عاقبةُ ما كذَّبوا والذي استهزؤوا به.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ نبَّهَ على عظمتِه وقدرتِه وأنَّهم لو رأوا بقلوبهم ونظروا ببصائرهم لَعلِموا أنَّه الذي يستحِقُّ أن يُعبَدَ؛ إذ هو القادرُ على كلِّ شيء. والزوج: هو اللون. قاله الفرَّاء[٢]. و«كَرِيم»: حسنٌ شريف، وأصل الكرم في اللغة: الشرف والفضل، فنخلةٌ كريمةٌ أي: فاضلةٌ كثيرةُ الثمر، ورجلٌ كريمٌ: شريفٌ فاضلٌ صفوح[٣]. ونبتتِ الأرضُ وأنبتَتْ بمعنًى. وقد تقدَّم في سورة «البقرة[٤]»، والله سبحانه هو المُخرِجُ للنبات[٥] والمُنبِتُ له. ورُوي عن الشَّعبيِّ أنه قال: الناسُ من نباتِ الأرض، فمن صار منهم إلى الجنة فهو كريم، ومن صار إلى النار فهو لئيم[٦].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ أي: فيما ذُكِرَ من الإنبات في الأرض؛ لدِلالتِه على أنَّ الله قادرٌ، ولا يُعجِزُه شيء[٧]. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: مُصَدِّقين لِما سبقَ من علمي فيهم. و«كَانَ» هنا صلة في قول سيبويه[٨]؛ تقديره: وما أكثَرُهم مؤمنين. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ يُريد: المنيعُ المنتقمُ من أعدائه، الرحيمُ بأوليائه[٩].

---

(١) ١٤/ ١٧١-١٧٢.

(٢) في معاني القرآن له ٢/ ٢٧٨.

(٣) إعراب القرآن ٣/ ١٧٤.

(٤) بل في سورة النحل ١٢/ ٢٩٢.

(٥) كلمة «للنبات» ليست في (م).

(٦) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٦٦.

(٧) الوسيط ٣/ ٣٥١.

(٨) الكتاب ١/ ٧٣.

(٩) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٢.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ «إِذْ» في موضع نصب؛ والمعنى: واتْلُ عليهم ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ ويدلُّ على هذا أنَّ بعده: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ذكره النَّحَّاس[١]. وقيل: المعنى: واذكُرْ إذ نادى، كما صرَّح به في قوله: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ [الأحقاف: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [ص: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦]. وقيل: المعنى: «وإِذْ نادى رَبُّكَ موسى» كان كذا وكذا. والنداء: الدعاء بيافلان، أي: قال ربُّكَ: يا موسى ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ثمَّ أخبرَ مَنْ هم، فقال: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ فـ «قومَ» بدل[٢]، ومعنى «ألا يَتَّقُونَ»: ألا يخافون عقابَ الله؟ وقيل: هذا من الإيماء إلى الشيء؛ لأنَّه أمرَه أنْ يأتيَ القومَ الظالمين، ودلَّ قولُه: «يَتَّقُونَ» على أنهم لا يتقون، وعلى أنه أمرهم بالتقوى. وقيل: المعنى: قُلْ لهم: «ألا تَتَّقُونَ» وجاء بالياء؛ لأنَّهم غُيَّبٌ وقتَ الخطاب، ولو جاء بالتاء لجاز. ومثله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ﴾ [آل عمران: ١٢] بالتاء والياء[٣]. وقد قرأ عبيد بن عُمير وأبو حازم: «أَلَا تَتَّقُونَ» بتاءين[٤]، أي: قُلْ لهم: «أَلَا تَتَّقُونَ». ﴿قَالَ رَبِّ﴾ أي: قال موسى[٥]: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ أي: في الرسالة والنبوة.

---

(١) في إعراب القرآن ٣/ ١٧٥ .

(٢) إعراب القرآن ٣/ ١٧٥ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) ورويت هذه القراءة عن عبد الله بن مسلم وحماد بن سلمة وأبي قلابة كما في المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٦ ، والمحتسب ٢/ ١٢٧ ، والشاذة ص١٠٦ .

(٥) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٢ .

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ لتكذيبهم إيَّاي[١]. وقراءة العامَّة «وَيَضيقُ» «وَلَا يَنْطَلِقَ» بالرفع على الاستئناف[٢]. وقرأ يعقوب وعيسى بن عمر وأبو حيوة: «ويَضِيقَ» «وَلَا يَنْطَلِقَ» بالنصب فيهما ردًّا على قوله: «أَنْ يُكَذِّبُونِ»[٣]. قال الكسائي: القراءةُ بالرفع؛ يعني في ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ من وجهين: أحدهما الابتداء، والآخر بمعنى: وإنِّي يضيقُ صدري ولا ينطلق لساني، يعني: نسَقاً على «إنِّي أخافُ»[٤]. قال الفرَّاء: ويُقرأُ بالنَّصب[٥]. حُكيَ ذلك عن الأعرج وطلحة وعيسى بن عمر، وكلاهما له وجه. قال النَّحَّاس: الوجه الرفع؛ لأنَّ النَّصبَ عطفٌ على «يُكَذِّبُونِ» وهذا بعيدٌ يدلُّ على ذلك قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي﴾ [طه: ٢٧-٢٨] فهذا يدل على أن هذا[٦] كذا[٧]. ومعنى، ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ في المُحاجَّةِ على ما أُحِبُّ؛ وكان في لسانه عُقْدةٌ على ما تقدَّم في «طه[٨]». ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ أرسِلْ إليه جبريلَ بالوحي، واجعَلْه رسولاً معي ليؤازِرَني ويُظاهِرَني ويُعاونني[٩]. ولم يذكُرْ هنا لِيُعينني؛ لأنَّ المعنى كان معلوماً، وقد صرَّح به في سورة «طه» [الآية: ٢٩]: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا﴾ وفي القصص [الآية: ٣٤]: ﴿أرسله مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾، وكأنَّ موسى أذِنَ له في هذا السؤال، ولم يكن ذلك استِعْفاءً من الرسالة، بل طلبَ مَنْ يُعِينُه. ففي هذا دليلٌ على أنَّ من لا يستقِلُّ بأمرٍ، ويخافُ من نفسه تقصيراً، أن يأخذَ مَنْ يستعين به عليه، ولا

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٥٥٢ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٨٢ ، وزاد المسير ٦/ ١١٨ .

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٧١ .

(٣) قراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٣٥ .

(٤) إعراب القرآن ٣/ ١٧٥ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٨ ورجح وجه الرفع .

(٦) في (م): هذه .

(٧) إعراب القرآن ٣/ ١٧٥ .

(٨) ١٤/ ٥١ - ٥٢ .

(٩) الوسيط ٣/ ٣٥١ بنحوه .

يَلْحَقُه في ذلك لَوْم.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ الذنبُ هنا قتلُ القِبطي[١]، واسمه فاثور على ما يأتي في «القصص» بيانه[٢]، وقد مضى في «طه» ذِكْرُه[٣]. وخاف موسى أن يقتلوه به، ودلَّ على أنَّ الخوفَ قد يصحَبُ الأنبياءَ والفُضَلاءَ والأولياءَ مع معرفتهم باللهِ، وأنْ لا فَاعِلَ إلا هو؛ إذ قد يُسلِّطُ من شاءَ على من شاء.

﴿قَالَ كَلَّاۖ﴾ أي: كلَّا لن يقتلوك. فهو رَدْعٌ وزَجْرٌ عن هذا الظن[٤]، وأمْرٌ بالثِّقةِ بالله تعالى؛ أي: ثِقْ بالله، وانزجِرْ عن خوفِكَ منهم؛ فإنَّهم لا يقدرون على قَتْلِك، ولا يَقْوَون عليه. ﴿فَٱذْهَبَا﴾ أي: أنتَ وأخوكَ، فقد جعلتُه رسولاً معك. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآۖ﴾ أي: ببراهيننا وبالمعجزات. وقيل: أي: مع آياتنا. ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ يريدُ نفسَه سبحانه وتعالى. ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ أي: سامِعون ما يقولون وما يُجاوبون[٥]. وإنَّما أرادَ بذلك تقويةَ قلبَيْهما وأنه يُعينُهما ويحفظُهما. والاستماع إنما يكون بالإصغاء، ولا يُوصَفُ الباري سبحانه بذلك[٦]. وقد وصفَ سبحانَه نفسَه بأنَّه السَّميعُ البصير. وقال في «طه» [الآية: ٤٦]: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ وقال: «مَعَكُمْ» فأجراهما مَجرى الجمع؛ لأنَّ الاثنين جماعة[٧]. ويجوزُ أن يكونَ لهما ولِمَنْ أُرسِلا إليه. ويجوزُ أن يكون لجميع بني إسرائيل[٨].

---

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٢.

(٢) ١٣/ ٢٥٩ وما بعده.

(٣) ١٤/ ٦٠ وما بعده.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٥.

(٥) الوسيط ٣/ ٣٥١.

(٦) تفسير الرازي ٢٤/ ١٢٤.

(٧) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٢.

(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٧ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال أبو عبيدة: رسول بمعنى رسالة[١]، والتقديرُ على هذا: إنَّا ذَوو رسالةِ ربِّ العالمين. قال الهُذليُّ:

أَلِكْني إليها وخَيرُ الرَّسُو ... لِ أَعْلَمُهُمْ بنَواحي الخَبَرْ[٢]

أَلِكْني إليها معناه: أرسِلْني. وقال آخرُ:

لقد كَذَبَ الواشونَ ما بُحْتُ عندهمْ ... بِسِرٍّ ولا أرسلتُهمْ برسولِ[٣]

آخر:

أَلَا أَبْلِغْ بني عَمرٍو رسولاً ... بأنِّي عن فُتَاحَتِكُمْ غنيُّ[٤]

وقال العباس بن مِرْداس:

أَلَا مَنْ مُبلِغٌ عنِّي خُفَافاً ... رسولاً بَيتُ أهلِكَ مُنْتَهاها[٥]

يعني رسالةً؛ فلذلك أنَّثها. قال أبو عبيدة[٦]: ويجوز أن يكون الرَّسولُ في معنى

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٨٤.

(٢) الهذلي: هو أبو ذُؤيب، والبيت في ديوان الهذليين ١/ ١٤٦. قوله: أعلمهم بنواحي الخبر، أي: يعرف شواكل الأمور.

(٣) قائله كثير عزة، وهو في ديوانه ص٢٧٨، وفيه «ليلى» بدل «بسرٍّ» و«رسيل» بدل «رسول». قال ابن عبد البر في بهجة المجالس ١/ ٢٧٧: يروى بالوجهين.

(٤) قائله الأسعر الجعفي، وهو في اللسان (فتح) وفيه: «بني بكر بن عبد» بدل «بني عمرٍو رسولاً»، وفي تاج العروس (فتح) وفيه: «ألا مَنْ مُبلِغٌ» بدل «ألا أبلغ بني»، ووقع في النسخ الخطية: «أبا» بدل «بني».

(٥) هو الحماسة البصرية ١/ ١٣، وخزانة الأدب ٤/ ٣٦٧.

(٦) في (د) و(ز) و(م): أبو عبيد.

الاثنين والجمع؛ تقول العرب: هذا رسولي ووكيلي، وهذان رسولي ووكيلي، وهؤلاء رسولي ووكيلي. ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ [الشعراء: ٧٧]. وقيل: معناه: إنَّ كلَّ واحدٍ منَّا رسولُ ربِّ العالمين. ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أطلِقْهم وخَلِّ سبيلَهم حتى يسيروا معنا إلى فلسطين ولا تستعبِدْهم، وكان فرعونُ استعبدهم أربعَ مئةِ سنة، وكانوا في ذلك الوقت ستَّ مئةِ ألفٍ وثلاثينَ ألفاً. فانطلقا إلى فرعون فلم يؤذَنْ لهما سنةً في الدخول عليه، فدخلَ البوَّابُ على فرعون فقال: هاهنا إنسانٌ يزعمُ أنَّه رسولُ ربِّ العالمين. فقال فرعون: ايذن له لعلَّنا نضحَكُ منه. فدخلا عليه وأدَّيا الرسالة[١]. وروى وَهْبٌ وغيرُه: أنَّهما لمَّا دخلا على فرعون وجَداه وقد أخرج سباعاً من أُسْدٍ ونُمورٍ وفُهودٍ يتفرَّج عليها، فخافَ سُوَّاسُها أن تبطِشَ بموسى وهارون، فأسرعوا إليها، وأسرعَتِ السِّباعُ إلى موسى وهارون، فأقبلَتْ تلحَسُ أقدامَهما، وتُبَصبِصُ إليهما بأذنابِها، وتُلْصِقُ خدودَها بفَخِذَيهما، فعجِبَ فرعونُ من ذلك فقال: ما أنتما؟ قالا: «إنَّا رَسولُ رَبِّ العالمين» فعرفَ موسى؛ لأنَّه نشأ في بيته.

فـ ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ على جهة المَنِّ عليه والاحتقار، أي: ربَّيناكَ صغيراً ولم نقتُلْكَ في جُملةِ مَنْ قَتَلْنا ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ فمتى كان هذا الذي تدَّعيه؟ ثم قرَّرَه بقَتْلِ القِبْطيِّ بقوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾ والفَعْلَةُ بفتح الفاء: المرَّةُ من الفِعْل[٢]. وقرأ الشَّعبيُّ: «فِعْلَتَكَ» بكسر الفاء[٣]، والفتح أولى؛ لأنَّها للمرَّةِ الواحدة، والكسرُ بمعنى الهيئة والحال، أي: فِعْلَتَكَ التي تُعرَفُ، فكيف تَدَّعي مع عِلْمنا أحوالَكَ بأنَّ اللهَ أرسلَكَ؟ وقال الشاعر:

كـأنَّ مِـشـيـتَـهـا مِـنْ بـيـتِ جـارتِـهـا ... مَـرُّ الـسَّـحـابـةِ لا رَيْـثٌ ولا عَـجَـلُ[٤]

---

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٢ - ٣٨٣ .

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٧ .

(٣) المحتسب ٢/ ١٢٧ ، والشاذة ص١٠٦ .

(٤) قائله الأعشى، وهو في ديوانه ص٦ .

ويقال: كان ذلك أيام الرِّدة والرَّدة[١]. ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال الضحَّاك: أي: في قتلِكَ القِبطي؛ إذ هو نفسٌ لا يحِلُّ قَتْلُه. وقيل: أي: بنعمتي التي كانت لنا عليكَ من التربية والإحسان إليك. قاله ابنُ زيد[٢]. الحسن: «مِنَ الكافرينَ» في أنِّي إلهُكَ. السُّدِّي: «مِنَ الكافرينَ» باللهِ؛ لأنَّكَ كنتَ معنا على ديننا هذا الذي تَعيبُه[٣]. وكان بين خروج موسى عليه السلام حين قتلَ القِبطيَّ وبين رجوعِه نبيًّا أحدَ عشرَ عاماً غيرَ أشهر[٤]. فـ ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أي: فعلتُ تِلْكَ الفَعْلةَ يُريدُ قتلَ القِبطي ﴿وَأَنَا﴾ إذ ذاك ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: من الجاهلين[٥]، فنفى عن نفسِه الكفر، وأخبر أنَّه فعلَ ذلك على الجهل[٦]. وكذا قال مجاهد؛ «مِنَ الضَّالِّينَ»: من الجاهلين[٧]. ابن زيد: من الجاهلين بأنَّ الوَكْزةَ تبلُغُ القتل[٨]. وفي مصحف عبد الله: «مِن الجاهِلين»، ويُقال لِمن جَهِلَ شيئاً: ضلَّ عنه[٩]. وقيل: «وأنا مِنَ الضَّالِّينَ»: من النَّاسين. قاله أبو عبيدة[١٠]. وقيل: «وأنا مِنَ الضَّالِّينَ» عن النبوّةِ[١١] ولم يأتِني عن اللهِ فيه شيء[١٢]، فليس عليَّ فيما فعلْتُه في تلك الحالة توبيخٌ. وبيَّنَ بهذا أنَّ التربيةَ فيهم لا تُنافي النبوَّةَ والحِلْمَ على

(١) من قوله: وقرأ الشعبي... إلى هذا الموضع في معاني القرآن للنحاس ٥/ ٦٩ .

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٧ بنحوه .

(٣) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٣ . وأخرج الطبري ١٧/ ٥٥٦ قول السدي.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٧ .

(٥) زاد المسير ٦/ ١١٩ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٦ .

(٧) تفسير مجاهد ٢/ ٤٥٩ ، وأخرجه عنه الطبري ١٧/ ٥٥٨ .

(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨ .

(٩) تفسير الطبري ١٧/ ٥٥٧ - ٥٥٨ .

(١٠) نقله عنه النحاس في معاني القرآن ٥/ ٧١ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١١٩ .

(١١) النكت والعيون ٤/ ١٦٧ .

(١٢) الوسيط ٣/ ٣٥٢ .

الناس، وأنَّ القتلَ خطأٌ، أو في وقتٍ لم يكن فيه شرعٌ لا يُنافي النبوَّةَ.

قوله تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أي: خرجتُ من بينكم إلى مَدْين[١] كما في سورة «القصص» [الآية: ٢١]: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ وذلك حين القتل. ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ يعني النبوَّة. عن السُّدِّيِّ وغيرِه[٢]. الزَّجَّاج: تعليمه[٣] التوراة التي فيها حكم الله[٤]. وقيل: علماً وفهماً[٥]. ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ اختلف الناسُ في معنى هذا الكلام، فقال السُّدِّي والطَّبريُّ والفرَّاء: هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهةِ الإقرار بالنعمة، كأنَّه يقول: نعم، وتربيتُكَ نعمةٌ عليَّ من حيث عبَّدتَ غيري وتركتني، ولكن لا يدفَعُ ذلكَ رسالتي[٦]. وقيل: هو من موسى عليه السلام على جهة الإنكار، أي: أتمنُّ عليَّ بأن ربيَّتَني وليداً وأنتَ قدِ استعبدْتَ بني إسرائيل وقتلتهم؟! أي: ليست بنعمة؛ لأنَّ الواجبَ كان ألَّا تقتُلَهم ولا تستعبِدَهم فإنَّهم قومي، فكيف تذكُرُ إحسانَكَ إليَّ على الخصوص؟! قال معناه قتادة وغيره[٧]. وقيل: فيه تقديرُ استفهام، أي: أوَ تِلكَ نعمةٌ؟ قاله الأخفش والفرَّاء أيضاً[٨]، وأنكره النَّحَّاس وغيره. قال النَّحَّاس[٩]: وهذا لا يجوز، لأنَّ ألِفَ الاستفهامِ تُحدِثُ معنى، وحَذْفُها مُحالٌ،

---

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٣.

(٢) أخرجه الطبري ١٧/ ٥٥٩ عن السدي، وذكره أبو الليث في تفسيره ٢/ ٤٧٢ وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٢٠ عن ابن السائب الكلبي.

(٣) في (م): تعليم.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٦.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٥٢، وأبو الليث ٢/ ٤٧٢، والبغوي ٣/ ٣٨٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٢٠ عن مقاتل.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨. وينظر تفسير الطبري ١٧/ ٥٥٩، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٩.

(٧) ينظر تفسير الطبري ١٧/ ٥٦١، وتفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨.

(٨) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٥ - ٦٤٦، وقول الفراء نقله عنه النحاس كما سيأتي قريباً.

(٩) في إعراب القرآن ٣/ ١٧٦ - ١٧٧.

إلَّا أن يكون في الكلام أم، كما قال الشاعر:

تَـرُوحُ مـن الـحـيِّ أن تَـبْـتَـكِـرْ[١]

ولا أعلَمُ بين النَّحْويِّين اختلافاً في هذا، إلَّا شيئاً قاله الفرَّاء؛ قال: يجوزُ حَذْفُ ألفِ الاستفهامِ في أفعالِ الشَّكِّ، وحُكي: تُرَى زيداً مُنطلِقاً؟ بمعنى: أترى. وكان علي بن سليمان يقول في هذا: إنَّما أخَذَه من ألفاظ العامَّة.

قال الثعلبيُّ: قال الفرَّاء: ومن قالَ: إنَّها إنكارٌ قال: معناه: أوَ تِلْكَ نعمةٌ؟ على طريق الاستفهام، كقوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦] ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. قال الشاعر:

رَفَـوْنـي وقـالـوا يـا خُـوَيـلِـدُ لا تُـرَعْ فـقـلـتُ وأنـكـرتُ الـوجـوهَ هُـمُ هُـمُ[٢]

وأنشدَ الغَزنويُّ شاهداً على ترك الألف قولَهم:

لـم أنـسَ يـوم الـرَّحـيـلِ وِقْـفـتَـهـا وجَـفْـنُـهـا مـن دمـوعِـهـا شَـرِقُ

وقـولَـهـا والـرِّكـابُ واقـفـةٌ تَـركـتَـنـي هـكـذا وتَـنـطَـلِـقُ

قلتُ: ففي هذا حذفُ ألفِ الاستفهام مع عدمِ أم خلافَ قولِ النَّحَّاس. وقال الضحَّاك: إنَّ الكلام خرجَ مخرَجَ التبكيتِ، والتبكيتُ يكونُ باستفهامٍ وبغير استفهام[٣]، والمعنى: لو لم تَقتُلْ بني إسرائيلَ لرَبَّاني أبَواي، فأيُّ نعمةٍ لكَ عليَّ؟! فأنت تمُنُّ عليَّ بما لا يجِبُ أن تمُنَّ به. وقيل: معناه: كيف تمنُّ عليَّ[٤] بالتربية وقد أهنتَ قومي؟ ومن أُهينَ قومُه ذَلَّ[٥]. و«أنْ عَبَّدْتَ» في موضعِ رفعٍ على البدل من «نِعْمة». ويجوزُ أن تكونَ في موضع نصبٍ بمعنى: لِأَنْ عَبَّدْتَ بني إسرائيل[٦]، أي:

(١) هذا صدر بين عجزه: «وماذا يضيرُك لو تُنتظَرْ»، وقائله امرؤ القيس، وقد سلف ١/ ٢٨٣ .

(٢) قائله أبو خراش الهذلي ، وقد سلف ٦/ ٤٦٩ .

(٣) إعراب القرآن ٣/ ١٧٧ .

(٤) كلمة «عليَّ» ليست في (م).

(٥) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٤ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٧ .

اتَّخذْتَهم عبيداً[١]. يُقال: عبَّدته وأعبدْته بمعنى. قاله الفرَّاء[٢]، وأنشد:

عَلَامَ يُعبِدُني قومي وقد كَثُرَتْ ... فيهم أباعِرُ ما شاؤوا وعِبْدانُ[٣]

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لمَّا غلبَ موسى فرعونَ بالحُجَّةِ ولم

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٨٥.

(٢) في معاني القرآن له ٢/ ٢٧٩.

(٣) قائله الفرزدق، وهو في اللسان (عبد).

يجِدِ اللعينُ من تقريرِهِ على التربية وغيرِ ذلكَ حُجَّةً رجع إلى معارضة موسى في قوله: «رسولُ ربِّ العالمين» فاستفهمه استفهاماً عن مجهولٍ من الأشياء. قال مكيٌّ وغيرُه: كما يُستفهَمُ عن الأجناس؛ فلذلك استفهمَ بـ «ما». قال مكي: وقد وردَ له استفهامٌ بـ «من» في موضعٍ آخر، ويُشبِهُ أنَّها مواطن، فأتى موسى بالصِّفاتِ الدالَّة على الله من مخلوقاته التي لا يُشارِكُه فيها مخلوق، وقد سأل فرعونُ عن الجنسِ ولا جِنْسَ للهِ تعالى؛ لأنَّ الأجناسَ مُحدَثة، فَعَلِمَ موسى جهلَه، فأضربَ عن سؤاله، وأعلَمَه بعظيم قدرة الله التي تُبيِّنُ للسامعِ أنَّه لا مشاركةَ لفرعونَ فيها. فقال فرعون: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ على معنى الإغراءِ والتَّعجُّبِ من سفَهِ المقالةِ إذْ كانت عقيدةُ القومِ أنَّ فرعونَ ربُّهم ومعبودُهم، والفراعنةُ قبلَه كذلك. فزاد موسى في البيان بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[1] فجاء بدليلٍ يفهمونه عنه؛ لأنَّهم يعلمون أنه قد كان لهم آباءُ، وأنَّهم قد فَنَوا، وأنَّه لابُدَّ لهم من مُغَيِّر، وأنَّهم قد كانوا بعدَ أن لم يكونوا، وأنَّهم لابُدَّ لهم من مُكَوِّن[2]. فقال فرعون حينئذٍ على جهةِ الاستخفاف: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[3] أي: ليس يجيبني عمَّا أسأل، فأجابه موسى عليه السلام عن هذا بأنْ قال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ أي[4]: ليس ملكُه كمُلكِكَ؛ لأنَّكَ إنَّما تملِكُ بلداً واحداً لا يجوز أمرُكَ في غيره، ويموت من لا تُحِبُّ أن يموت، والذي أرسلني يملِكُ المشرقَ والمغرب ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5]. وقيل: عَلِمَ موسى عليه السلام أنَّ قصْدَه في السؤال معرفةُ مَنْ سألَ عنه، فأجاب بما هو الطريق إلى معرفة الربِّ اليوم.

ثم لمَّا انقطعَ فرعونُ ـ لعنَه الله ـ في باب الحُجَّةِ رجعَ إلى الاستعلاءِ والتغلُّبِ، فتوعَّدَ موسى بالسَّجْنِ، ولم يقُلْ: ما دليلُكَ على أنَّ هذا الإلهَ أرسلَكَ؛ لأنَّ فيه

(١) المحرر الوجيز ٤/٢٢٨ - ٢٢٩.
(٢) إعراب القرآن ٣/١٧٨.
(٣) المحرر الوجيز ٤/٢٢٩.
(٤) في (م): إن.
(٥) إعراب القرآن ٣/١٧٨.

الاعترافَ بأنَّ ثَمَّ إلهاً غيرُه. وفي تَوعُّدِه بالسَّجْنِ ضَعْفٌ . وكان فيما يُروى أنه يفزَعُ منه فزعاً شديداً حتى كان اللَّعينُ لا يُمسِكُ بولَه. ورُويَ أنَّ سَجْنَه كان أشدَّ من القتل. وكان إذا سجَنَ أحداً لم يُخرِجْه من سجنِهِ حتى يموت، فكان مَخُوفاً. ثم لمَّا كان عند موسى عليه السلام من أمرِ الله تعالى ما لا يُرِعْهُ تَوَعُّدُ فرعون ﴿قَالَ﴾ له على جهةِ اللُّطفِ به والطَّمعِ في إيمانه: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ فيتَّضِحُ لكَ به صدقي. فلمَّا سمعَ فرعون ذلك طمِعَ في أن يجِدَ أثناءه موضِعَ معارضة ﴿فَقَالَ﴾ له: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]. ولم يَحتَجِ الشَّرطُ إلى جوابٍ عند سيبويه؛ لأنَّ ما تقدَّم يكفي منه[2]. ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾ من يدِه فكان ما أخبرَ الله من قصَّتِه. وقد تقدَّم بيانُ ذلك وشرحُه في «الأعراف[3]» إلى آخر القصة. وقال السَّحَرةُ لمَّا توعَّدهم فرعونُ بقَطْعِ الأيدي والأرجُلِ: ﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا ضررَ علينا فيما يَلْحَقُنا من عذاب الدنيا[4]، أي: إنَّما عذابُكَ ساعةً فنصبرُ لها وقد لقينا اللهَ مؤمنين. وهذا يدُلُّ على شِدَّةِ استبصارِهم وقُوَّةِ إيمانهم.

قال مالك: دعا موسى عليه السلام فرعونَ أربعين سنةً إلى الإسلام، وأنَّ السَّحَرةَ آمنوا به في يومٍ واحد[5]. يُقال: لا ضَيْرَ ولا ضَوْرَ ولا ضَرَّ ولا ضَرَرَ ولا ضارُورةَ بمعنًى واحد. قاله الهَرَوي[6]. وأنشدَ أبو عبيدة:

فإنَّكَ لا يَضُورُكَ بعدَ حَوْلٍ أظبيٌ كانَ أُمُّكَ أم حِمارُ[7]

وقال الجوهري[8]: ضَارَه يَضُورُه ويَضيرُه ضَيْراً وضَوْراً، أي: ضَرَّه . قال

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٩ .

(٢) إعراب القرآن ٣/ ١٧٨ .

(٣) ٩/ ٢٩٢-٢٩٩ .

(٤) الوسيط ٣/ ٣٥٣ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٤٢٣ .

(٦) وقاله الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٩١ دون قوله: ولا ضارورة.

(٧) قائله خداش بن زهير، وهو في خزانة الأدب ٩/ ٢٨٩ .

(٨) في الصحاح (ضور).

الكسائي: سمعتُ بعضَهم يقول: لا ينفعني ذلكَ ولا يَضُورني. والتَّضوُّرُ: الصِّياحُ والتَّلَوِّي عند الضرب أو الجوع. والضُّورَة بالضمِّ: الرَّجلُ الحقيرُ، الصغيرُ الشأن.

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ يُريدُ: نتقلبُ إلى ربٍّ كريمٍ رحيمٍ.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ «أَنْ» في موضع نصبٍ، أي: لأنْ كُنَّا. وأجاز الفرَّاءُ كسْرَها على أن تكون مُجازاةً[1]. ومعنى: ﴿أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: عند ظهور الآية ممن كان في جانب فرعون. الفرَّاء[2]: أول مؤمني زماننا. وأنكره الزَّجَّاج[3] وقال: قد رُويَ أنه آمنَ معه ستُّ مئة ألفٍ وسبعون ألفاً، وهم الشِّرذمة القليلون الذين قال فيهم فرعون: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾. رُويَ ذلك عن ابن مسعودٍ وغيره[4].

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ لمَّا كان من سُنَّتِهِ تعالى في عباده إنجاءُ المؤمنين المُصدِّقين من أوليائه، المعترفينَ برسالة رسلهِ وأنبيائه،

(١) إعراب القرآن ٣/ ١٨٠ ، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٨٠ .

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٢٨٠ .

(٣) في معاني القرآن له ٤/ ٩١ .

(٤) أخرجه الطبري ١٧/ ٥٧٣ عن ابن مسعود وأبي عبيدة.

وإهلاك الكافرين المُكذِّبين لهم من أعدائه، أمرَ موسى أن يخرُجَ ببني إسرائيل ليلاً وسمَّاهم عبادَه؛ لأنَّهم آمنوا بموسى. ومعنى: «إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ» أي: يتَّبعكم فرعونُ وقومُه لِيَرُدُّوكم[١]. وفي ضمنِ هذا الكلام تعريفُهم أنَّ اللهَ يُنجيهم منهم، فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل سَحَراً، فتركَ الطريقَ إلى الشام على يسارِه، وتوجَّه نحو البحر، فكان الرجلُ من بني إسرائيلَ يقول له في ترك الطريق، فيقول: هكذا أُمِرْتُ. فلمَّا أصبحَ فرعونُ وعَلِمَ بِسُرَى موسى ببني إسرائيل، خرج في أثرهم، وبعثَ إلى مدائن مصر لِتلحَقَه العساكر، فرُويَ أنَّه لحِقَه ومعه مئةُ ألفٍ[٢] أدْهَمٍ من الخيل حاشى[٣] سائر الألوان. ورُويَ أنَّ بني إسرائيل كانوا ستَّ مئةِ ألفٍ وسبعينَ ألفاً. والله أعلمُ بصِحَّته، وإنَّما اللازمُ من الآيةِ الذي يُقطَعُ به أنَّ موسى عليه السلام خرجَ بجمعٍ عظيمٍ من بني إسرائيل، وأنَّ فرعونَ تَبِعَه بأضعافِ ذلك. قال ابن عباس: كان مع فرعونَ ألفُ جبَّارٍ كلُّهم عليه تاجٌ، وكلُّهم أميرُ خيل. والشِّرْذِمَةُ: الجمعُ القليلُ المحتقَرُ، والجمعُ الشَّراذِم[٤]. قال الجوهري: الشِّرذمة: الطائفةُ من الناس، والقِطعةُ من الشيء. وثوبٌ شراذمُ أي: قِطَع[٥]. وأنشدَ الثعلبيُّ قولَ الراجز:

جاءَ الشِّتاءُ وثِيَابي أَخْلاقْ شَراذِمٌ يَضحَكُ منها النَّوَّاقْ

النَّوَّاقُ من الرجال: الذي يَروضُ الأمور ويُصلِحُها. قالَه في الصحاح[٦]. واللام في قوله: «لَشِرْذِمَةٌ» لامُ توكيدٍ، وكثيراً ما تدخلُ في خبرِ إنَّ، إلَّا أن الكوفيين لا يُجيزونَ: إنَّ زيداً لَسوفَ يقوم. والدليل على أنه جائزٌ قوله تعالى: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

(١) الوسيط ٣/ ٣٥٤ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٨٦ .

(٢) في المحرر الوجيز: ست مئة ألف.

(٣) في (د) و(ز) و(م): سوى ، وكلاهما بمعنى .

(٤) من قوله: فخرج موسى... إلى هذا الموضع من المحرر الوجيز ٤/ ٢٣١-٢٣٢ .

(٥) الصحاح (شرذم).

(٦) (نوق)، ويروى بالتاء (التَّوَّاق) على أنه اسم ابنه. اللسان (توق).

وهذه لامُ التوكيد بعينِها وقد دخلت على سوف. قاله النَّحَّاس[١].

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ أي: أعداءٌ لنا لمخالفتهم ديننا وذهابِهم بأموالِنا التي استعاروها على ما تقدم. وماتت أبكارهم تلك الليلة. وقد مضى هذا في «الأعراف» و«طه[٢]» مستوفًى. يُقال: غاظني كذا وأغاظني. والغيظُ: الغضبُ، ومنه التغيُّظ والاغتياظ. أي: غاظونا بخروجهم من غير إذن[٣]. ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ أي: مُجتمِعٌ مُستعِدٌّ أخَذْنا حِذْرَنا وأسلِحَتنا. وقُرِئَ: «حاذِرُونَ» ومعناه معنى «حَذِرُونَ[٤]» أي: فَرِقونَ خائفون. قاله الجوهري[٥]: وقُرِئَ: «وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ» و «حَذِرُونَ» و«حَذُرونَ» بضمِّ الذَّالِ. حكاه الأخفش، ومعنى «حَاذِرُونَ»: مُتأهِّبون، ومعنى «حَذِرُونَ»: خائفون. قال النَّحَّاس: «حَذِرُونَ» قراءةُ المدنيين وأبي عَمرو، وقراءةُ أهلِ الكوفة: «حَاذِرُونَ»[٦] وهي معروفةٌ عن عبد الله بن مسعود وابن عباس، و«حَادِرُونَ» بالدَّالِ غيرِ المُعجَمةِ قراءةُ أبي عباد[٧]، وحكاها المهدَويُّ عن ابن أبي عمار، والماورديُّ والثعلبيُّ عن سُمَيْط بن عجلان[٨]. قال النَّحَّاس: أبو عُبيدةَ يذهبُ إلى أنَّ معنى «حَذِرُونَ» و«حَاذِرُونَ» واحد. وهو قول سيبويه، وأجاز: هو حَذِرٌ زيداً، كما يُقال: حاذرٌ زيداً، وأنشد:

---

(١) في إعراب القرآن ٣/ ١٨٠ .

(٢) ١٤/١٠٨-١١١ .

(٣) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٧ دون قوله: ومنه التغيظ والاغتياظ . قال الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٩٢ : من قال: أغاظني، فقد لحن .

(٤) وهو قول أبي عبيدة كما سيأتي .

(٥) في الصحاح (حذر).

(٦) السبعة ص٤٧١ ، والتيسير ص١٦٥ ، والنشر ٢/ ٣٣٥ .

(٧) إعراب القرآن ٣/ ١٨٠ ، لكن الذي في مطبوعه: عن ابن أبي عمار بدل أبي عباد .

(٨) هذه القراءة في المحتسب ٢/ ١٢٨ عن ابن أبي عمار، وفي الشاذة ص١٠٦ عن ابن أبي عمار ومحمد ابن السميفع، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢ عن ابن أبي عمار وسميط بن عجلان. وذكرها الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٤٠٩ عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

حـــذِرٌ أُمـــوراً لا تَـــضِـــيـــرُ وآمِـــنٌ مـا لـيـسَ مُـنْـجِـيَـهُ مـن الأقـدارِ[١]

وزعم أبو عمر الجَرْميُّ أنه يجوز: هو حَذِرٌ زيداً على حَذْفِ مِنْ. فأمَّا أكثرُ النَّحْويِّينَ فيُفرِّقونَ بين حَذِرٍ وحاذِرٍ، منهم الكسائي والفرَّاء ومحمد بن يزيد، فيذهبون إلى أنَّ معنى حَذِرٍ: في خِلْقَتِه الحذرُ، أي: مُتيقِّظٌ مُتنبِّهٌ، فإذا كان هكذا لم يَتَعدَّ، ومعنى حاذرٍ مُستَعِدٌّ، وبهذا جاء التفسير عن المُتقدِّمين. قال عبد الله بن مسعود في قولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ قال: مُؤْدون في السلاحِ والكُراع مُقْوون، فهذا ذاك بعينِه. وقوله: مُؤْدون: معهم أداة. وقد قيل: إنَّ المعنى: معنا سلاحٌ وليس معهم سلاحٌ؛ يُحرِّضهم على القتال، فأمَّا «حادِرونَ» بالدَّال المهملة فمُشتَقٌّ من قولِهم: عينٌ حَدْرَةٌ أي: ممتلِئَةٌ، أي: نحن ممتلئون غيظاً عليهم[٢]، ومنه قول الشاعر:

وعَـــيـــنٌ لـــهـــا حَـــدْرَةٌ بَـــدْرَةٌ شُـــقَّـــتْ مـــآقـــيـــهـــمَـــا مِـــنْ أُخُـــرْ[٣]

وحكى أهل اللغة أنَّه يُقال: رجلٌ حادِرٌ إذا كان مُمتلئَ اللحم[٤]، فيجوز أن يكون المعنى: الامتلاءُ من السلاح. المَهْدَويُّ: الحادر: القويُّ الشديد.

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ يعني: من أرض مصر[٥]. وعن عبد الله ابن عَمرٍو قال: كانت الجنَّاتُ بحافتي النيل في الشِّقتين جميعاً من أسوانَ إلى رشيد، وبين الجنات زروعٌ. والنيل سبعةُ خِلجان: خليجُ الاسكندرية، وخليجُ سَخَا، وخليجُ دِمْياط، وخليجُ سَرْدُوس، وخليج مَنْف، وخليج الفيوم، وخليج المَنْهَى، متصلةٌ لا ينقطِعُ منها شيءٌ عن شيء، والزُّروعُ ما بين الخِلْجان كلِّها. وكانت أرضُ مصرَ كلُّها

(١) سلف ١٠/ ٢٨٨ .

(٢) إعراب القرآن ٣/ ١٨١ .

(٣) قائله امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص١٦٦ . قال شارحه: بدرة: تبدُر بالنظر. شُقَّت مآقيهما: تفتحت، فكأنها انشقت. من أُخُر: من مآخير العين.

(٤) تهذيب اللغة ٤/ ٤٠٧ .

(٥) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٤ .

تُروى من ستةَ عشرَ ذراعاً بما دبَّروا وقدَّروا من قناطِرها وجسورِها وخلجانها[١]؛ ولذلك سُمِّي النيلُ ـ إذا غلق ستةَ عشرَ ذراعاً ـ نيلَ السلطان، ويُخلَع على ابنِ أبي الردَّاد، وهذه الحال مستمِرَّةٌ إلى الآن. وإنما قيل: نيلُ السلطان؛ لأنَّه حينئذٍ يجب الخَراجُ على الناس. وكانت أرضُ مصرَ جميعُها تُروى من إصبعٍ واحدةٍ من سبعةَ عشرَ ذراعاً، وكانت إذا غلق النيلُ سبعةَ عشرَ ذراعاً ونُوديَ عليه إصبعٌ واحدٌ من ثمانيةَ عشرَ ذراعاً، ازدادَ في خَراجِها ألفُ ألفِ دينار. فإذا خرجَ عن ذلِكَ ونُوديَ عليه إصبعاً واحداً من تسعةَ عشرَ ذراعاً نقَصَ خَراجُها ألفُ ألفِ دينار. وسببُ هذا ما كان ينصرفُ في المصالح والخِلْجان والجسور والاهتمام بعمارتها. فأمَّا الآن فإنَّ أكثرَها لا يُروى حتى يُنادى إصبعٌ من تسعةَ عشرَ ذراعاً بمقياس مصر. وأمَّا أعمالُ الصعيد الأعلى، فإنَّ بها ما لا يتكاملُ رِيُّهُ إلَّا بعد دخول الماء في الذراع الثاني والعشرين بالصعيد الأعلى[٢].

قلتُ: أمَّا أرضُ مصرَ فلا تُروى جيمعُها الآن إلَّا من عشرين ذراعاً وأصابع؛ لِعلُوِّ الأرض وعدم الاهتمام بعمارة جُسورِها، وهو من عجائب الدنيا، وذلك أنَّه يزيد إذا انصبَّتِ المياهُ في جميع الأرض حتى يسيح على جميع أرض مصر، وتبقى البلادُ كالأعلامِ لا يُوصَلُ إليها إلا بالمراكبِ والقياسات.

ورويَ عن عبد الله بن عَمرو بن العاص أنَّه قال: نِيلُ مصرَ سيدُ الأنهار، سخَّر اللهُ له كلَّ نهرٍ بين المشرق والمغرب، وذلَّلَ اللهُ له الأنهار، فإذا أرادَ اللهُ أن يُجريَ نيلَ مصرَ أمرَ كلَّ نهرٍ أن يَمُدَّه، فأمدَّتْهُ الأنهارُ بمائها، وفجَّرَ الله له عيوناً، فإذا انتهى إلى ما أراد اللهُ عزَّ وجلَّ، أوحى الله تبارك وتعالى إلى كلِّ ماءٍ أن يرجع إلى عنصره.

وقال قيس بن الحجاج [عمَّن حدَّثه][٣]: لمَّا افتتحَتْ مصرُ أتى أهلُها إلى عَمرو

(١) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٨١.

(٢) ذكره النحاس في معاني القرآن ٥/ ٨١، وأخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر ص١٠٣.

(٣) ما بين حاصرتين من المصادر.

ابن العاص حين دخل بؤونةُ من أشْهُرِ العجم[١] فقالوا له: أيها الأميرُ، إنَّ لِنيلِنا هذا سُنَّةً لا يجري إلَّا بها. فقال لهم: وما ذاك؟ فقالوا: إذا كان لاثنتي عشرةَ ليلةً تخلو من هذا الشهر عَمَدْنا إلى جاريةٍ بِكْرٍ بين أبويها، فأرضَيْنا أبويها، وحَمَلْنا عليها من الحُليِّ والثيابِ أفضلَ ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل. فقال لهم عَمرو: هذا لا يكون في الإسلام؛ وإنَّ الإسلامَ يهدُمُ ما قبله. فأقاموا بؤونة وأبيب[٢] ومسرى لا يجري قليلٌ ولا كثير، وهمُّوا بالجَلاء، فلما رأى ذلك عَمرو بنُ العاص كتبَ إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فأعلَمه بالقِصَّة، فكتبَ إليه عُمر بن الخطاب: إنَّكَ قد أصبتَ بالذي فعلتَ، وإنَّ الإسلامَ يهدُمُ ما قبلَه، ولا يكونُ هذا. وبعثَ إليه ببطاقةٍ في داخلِ كتابه، وكتبَ إلى عَمرو: إني بعثتُ إليكَ ببطاقةٍ داخل كتابي، فألْقِها في النيل إذا أتاك كتابي. فلمَّا قَدِمَ كتابُ عُمر إلى عَمرو بن العاص أخذَ البطاقةَ ففتحَها فإذا فيها: من عبد الله أميرِ المؤمنين عمر إلى نيلِ مصر، أمَّا بعد: فإنْ كنتَ إنما تجري من قِبَلِكَ فلا تَجْرِ، وإنْ كان اللهُ الواحدُ القهَّارُ هو الذي يُجريكَ، فنسألُ اللهَ الواحدَ القهَّارَ أن يُجرِيَكَ. قال: فألقى البطاقة في النِّيل قبل الصليب بيوم واحد[٣]، وقد تهيَّأ أهلُ مصر للجَلاء والخروجِ منها؛ لأنَّه لا تقومُ مصلحتُهم فيها إلَّا بالنِّيل. فلما ألقى البطاقةَ في النِّيل، أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى في ليلةٍ واحدةٍ ستةَ عشر ذراعاً، وقطعَ اللهُ تلك السُّنَّةَ السُّوءَ[٤] عن أهل مصر من تِلكَ السَّنة[٥].

---

(١) في النسخ: القبط. والمثبت من المصادر.

(٢) في (د) و(م): فأقاموا أبيب.

(٣) كلمة «واحد» من (ظ).

(٤) المثبت من المصادر، وكلمة «السوء» ليست في النسخ، وفي (ظ): «السيرة» بدل: «السنة».

(٥) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر ص١٠٤ ، وأبو الشيخ في العظمة (٩٤١)، واللالكائي في كرامات الأولياء (٦٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٣٣٧ من طريق ابن لهيعة، عن قيس بن الحجاج، به. ابن لهيعة سيئ الحفظ. تهذيب التهذيب ٢/ ٤١١-٤١٣ . وفي إسناده إبهام الراوي الذي روى عنه قيس بن الحجاج.

قال كعب الأحبار: أربعةُ أنهارٍ من الجنة وضعَها اللهُ تعالى في الدنيا: سَيْحان وجَيحانْ والنيل والفرات، فسَيْحانُ نهرُ الماءِ في الجنة، وجَيْحانُ نهرُ اللَّبنِ في الجنة، والنِّيلُ نهرُ العسلِ في الجنة، والفراتُ نهر الخمرِ في الجنة[١]. وقال ابن لَهيعَة: الدِّجلةُ نهرُ اللَّبنِ في الجنة.

قلت: الذي في الصحيح من هذا حديثُ أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيْحَانُ وجَيْحَانُ وَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ كُلٌّ من أنهار الجنة» لفظ مسلم[٢]. وفي حديث الإسراء من حديث أنس بن مالك، عن مالك بن صَعْصَعة رجلٍ من قومه قال: وحدَّث نبيُّ اللهِ ﷺ «أنَّه رأى أربعةَ أنهارٍ يخرجُ من أصلِها نهرانِ ظاهرانِ ونهرانِ باطنانِ، فقلتُ: يا جبريلُ ما هذه الأنهار؟ قال: أما النَّهرانِ الباطنانِ فنهرانِ في الجنة، وأمَّا الظَّاهرانِ فالنيلُ والفرات» لفظ مسلم[٣]. وقال البخاريُّ من طريق شَريك عن أنس: «فإذا هو في السماءِ الدُّنيا بنهرينِ يَطَّردان، فقال: ما هذانِ النَّهرانِ يا جبريل؟ قال: هذا النِّيلُ والفراتُ عنصرُهما، ثم مضى في السماء فإذا هو بنهرٍ آخرَ عليه قصرٌ من اللؤلؤِ والزَّبرجَدِ، فضرب بيده فإذا هو مِسْكٌ أذْفَرٌ، فقال: ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا هو الكوثر الذي خَبَأَ لكَ ربُّك». وذكر الحديث[٤]. والجمهورُ على أنَّ المُرادَ بالعيون عيونُ الماء. وقال سعيد بن جُبير: المرادُ عيون الذهب. وفي الدخان [٢٥-٢٦]: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ﴾. قيل: إنَّهم كانوا يزرعون ما بين الجبلين من أوَّلِ مصرَ إلى آخرها[٥]. وليس في الدخان «وكنوز». «وكنوز» جمع كنز، وقد مضى هذا في سورة «براءة»[٦]. والمُرادُ بها هاهنا الخزائن. وقيل: الدفائن. وقال الضحَّاك:

---

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر ص١٠٣، والحارث بن أبي أسامة كما في بغية الباحث (١٠٤٢).

(٢) في صحيحه (٢٨٣٩). وأخرجه أحمد (٩٦٧٤).

(٣) في صحيحه (١٦٤): (٢٦٥). وأخرجه أحمد (١٧٨٣٣).

(٤) صحيح البخاري (٧٥١٧). قوله: «يطَّردان» أي: يجريان. النهاية (طرد).

(٥) النكت والعيون ٥/ ٢٥١.

(٦) ١٠/ ١٨١.

الأنهار. وفيه نظر؛ لأنَّ العيونَ تشملها. ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ قال ابن عمر وابن عباس ومجاهد: المقام الكريم: المنابر. وكانت ألفَ مِنْبرٍ لألفِ جبَّارٍ يُعظِّمون عليها فرعونَ ومُلْكَه. وقيل: مجالس الرؤساء والأمراء. حكاه ابن عيسى، وهو قريبٌ من الأول. وقال سعيد بن جُبير: المساكن الحِسان[1]. وقال ابنُ لَهيعة: سمعتُ أنَّ المقام الكريم الفَيُّوم[2]. وقيل: كان يوسفُ عليه السلام قد كتبَ على مجلسٍ من مجالسه: «لا إلهَ إلَّا اللهُ، إبراهيمُ خليلُ اللهِ» فسمَّاها اللهُ كريمةً بهذا. وقيل: مَرابِطُ الخيل، لتفرُّدِ الزُّعماء بارتباطها عُدَّةً وزينةً، فصار مقامُها أكرمَ منزلٍ بهذا. ذكره الماوردي[3]. والأظهرُ أنَّها المساكنُ الحِسانُ كانت تُكرَمُ عليهم. والمَقامُ في اللغةِ يكون الموضعَ ويكون مصدراً. قال النَّحَّاس: المَقامُ في اللُّغةِ: الموضع؛ من قولك: قامَ يقومُ، وكذا المَقاماتُ واحِدُها مَقامة، كما قال:

وفيهم مَقاماتٌ حِسانٌ وجوهُهُمْ وأنديةٌ ينتابُها القولُ والفعلُ[4]

والمقامُ أيضاً المصدَرُ من قامَ يقومُ. والمُقام بالضَّمِّ: الموضِعُ، مِنْ أقامَ. والمصدرُ أيضاً مِنْ أقامَ يُقيمُ[5].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يريدُ أنَّ جميعَ ما ذكره اللهُ تعالى من الجنَّاتِ والعُيونِ والكنوزِ والمقامِ الكريمِ أورثَه اللهُ بني إسرائيل. قال الحسنُ وغيره: رجعَ بنو إسرائيل إلى مصر بعد هلاكِ فرعونَ وقومِه. وقيل: أرادَ بالوراثة هنا ما استعاروه من حُليِّ آلِ فرعونَ بأمر الله تعالى. قلتُ: وكلا الأمرين حصلَ لهم. والحمد لله.

---

(١) النكت والعيون ٤/ ١٧٢ و٥/ ٢٥١ ، وفيه: الحسن بدل ابن عمر.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٨٢ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢ .

(٣) في النكت والعيون ٤/ ١٧٢ .

(٤) قائله زهير بن أبي سلمى، وسلف ٢/ ٣٧٤ .

(٥) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٨٢ .

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ أي: فتَبِعَ فرعونُ وقومُه بني إسرائيل. قال السُّدِّيُّ: حين أشرقتِ الشَّمسُ بالشُّعاع. وقال قتادة: حين أشرقتِ الأرضُ بالضياء. قال الزَّجَّاج[١]: يقال: شَرَقَتِ الشمسُ إذا طلعَتْ، وأشرقَتْ إذا أضاءت.

واختُلِفَ في تأخُّرِ فرعونَ وقومِه عن موسى وبني إسرائيل على قولين: أحدهما ـ لاشتغالِهم بدَفْنِ أبكارِهم في تلك الليلة؛ لأنَّ الوباءَ في تلك الليلة وقعَ فيهم، فقوله: «مُشْرِقِينَ» حالٌ لقوم فرعون. الثاني ـ إنَّ سحابةً أظلَّتْهم وظُلْمة، فقالوا: نحنُ بَعْدُ في الليل، فما تقشَّعَتْ عنهم حتى أصبحوا. وقال أبو عبيدة: معنى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾: ناحية المشرق. وقرأ الحسن وعَمرو بن ميمون: «فَاتَّبَعُوهُمْ مُشَرِّقِينَ» بالتشديد وألف الوصل[٢]؛ أي: نحو المشرق؛ مأخوذٌ من قولهم: شرَّقَ وغرَّبَ إذا سارَ نحوَ المشرقِ والمغربِ[٣]. ومعنى الكلام: قدَّرْنا أن يرِثَها بنو إسرائيل فاتَّبعَ قومُ فرعونَ بني إسرائيل مُشَرِّقين فهلكوا، وورثَ بنو إسرائيلَ بلادَهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ أي: تقابلا[٤]، بحيث يرى كلُّ فريقٍ صاحِبَه، وهو تفاعلٌ من الرؤية.

﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ أي: قَرُبَ مِنَّا العدوُّ ولا طاقةَ لنا به[٥]. وقراءةُ الجماعة: «لَمُدْرَكُونَ» بالتخفيف من أدرك. ومنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ [يونس: ٩٠]. وقرأ عُبيد بن عمير والأعرج والزُّهري: «لَمُدَّرَكُونَ» بتشديد الدال من ادَّرك[٦]. قال الفرَّاء[٧]: حفَرَ واحتفَرَ بمعنًى واحد، وكذلك «لَمُدْرَكُونَ» و«لَمُدَّرَكُونَ»

---

(١) في معاني القرآن له ٤/ ٩٢ .

(٢) الشاذة ص١٠٧ عن الحسن والذماري، وزاد المسير ٦/ ١٢٦ عن الحسن وأيوب السختياني .

(٣) من قوله: قال السدي... إلى هذا الموضع من النكت والعيون ٤/ ١٧٣ .

(٤) بعدها في النسخ: الجمعان.

(٥) الوسيط ٣/ ٣٥٤ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٨٧ .

(٦) المحتسب ٢/ ١٢٩ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٣٣ عن عبيد بن عمير والأعرج، وهي قراءة شاذة.

(٧) في معاني القرآن له ٢/ ٢٨٠ .

بمعنًى واحد. النَّحَّاس[١]: وليس كذلك يقولُ النَّحْويُّون الحُذَّاق، إنما يقولون: مُدْرَكون: مُلْحَقون، ومُدَّرَكون: مُجتَهِدٌ في لَحاقهم، كما يُقال: كسبتُ بمعنى أصبْتُ وظَفِرْتُ، واكتسبْتُ بمعنى اجتهدْتُ وطلبْتُ، وهذا معنى قول سيبويه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ لمَّا لحِقَ فرعونُ بجمعه جَمْعَ موسى وقَرُبَ منهم، ورأتْ بنو إسرائيلَ العدوَّ القويَّ والبحرَ أمامَهم ساءت ظُنونُهم، وقالوا لموسى على جهةِ التَّوبيخِ والجَفاء: «إِنَّا لَمُدْرَكُونَ»، فردَّ عليهم قولَهم وزَجَرهم وذكَّرهم وعْدَ اللهِ سبحانه له بالهداية والظَّفر[٢]. ﴿كَلَّآ﴾ أي: لم يُدْرِكوكم[٣] ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ أي: بالنصر على العدوِّ[٤]. ﴿سَيَهْدِينِ﴾ أي: سيدُلُّني على طريق النجاة[٥]، فلمَّا عَظُمَ البلاءُ على بني إسرائيل، ورأَوا من الجيوشِ ما لا طاقةَ لهم بها، أمرَ اللهُ تعالى موسى أنْ يضرِبَ البحرَ بعصاه، وذلك أنَّه عزَّ وجلَّ أرادَ أن تكون الآيةُ متصلةً بموسى ومُتعلِّقةً بفعلٍ يفعله، وإلَّا فضَرْبُ العصا ليس بفارقٍ للبحر، ولا معينَ على ذلك بذاتِه إلَّا بما اقترنَ به من قدرةِ الله تعالى واختراعه[٦]. وقد مضى في «البقرة»[٧] قصةُ هذا البحر. ولمَّا انفلقَ صار فيه اثنا عشرَ طريقاً على عدد أسباط بني إسرائيل، ووقفَ الماءُ بينها كالطَّودِ العظيم، أي: الجبل العظيم[٨]. والطَّوْدُ: الجبل، ومنه قول امرئ القيس[٩]:

---

(١) في إعراب القرآن ٣/ ١٨٢ .

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٣) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٨ ، وزاد المسير ٦/ ١٢٦ .

(٤) مجمع البيان ١٩/ ١٥٥ .

(٥) الوسيط ٣/ ٣٥٤ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٨٨ ، وزاد المسير ٦/ ١٢٦ .

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٣ .

(٧) ٢/ ٨٩ - ٩٠ .

(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٣ .

(٩) في ديوانه ص٣١٠ .

فبينا المرءُ في الأحياءِ طَوْدٌ رَماهُ الناسُ عن كَثَبٍ فمالا[١]

وقال الأسود بن يَعْفُر:

حَلُّوا بأنْقرةٍ يَسيلُ عليهمُ ماءُ الفُراتِ يجيءُ من أَطْوَادِ

جمع طود أي: جبل[٢]. فصارَ لموسى وأصحابِه طريقاً في البحر يَبَساً، فلمَّا خرجَ أصحابُ موسى وتكامل آخِرُ أصحاب فرعون على ما تقدَّم في «يونس»[٣] انصَبَّ عليهم وغَرِقَ فرعونُ، فقال بعضُ أصحاب موسى: ما غَرِقَ فرعونُ؛ فنبذَ على ساحلِ البحرِ حتى نظروا إليه.

وروى ابن القاسم عن مالك قال: خرجَ مع موسى عليه السلام رَجُلانِ من التُّجارِ إلى البحر، فلمَّا أتَوا إليه قالا له: بِمَ أمرَكَ الله؟ قال: أُمِرتُ أن أضرِبَ البحرَ بعصايَ هذه فيَجِفَّ[٤]. فقالا له: افعَلْ ما أمرك الله فلن يُخلِفَكَ. ثم ألْقَيا أنفُسَهما في البحر تصديقاً له، فما زالَ كذلك البحرُ حتى دخلَ فرعونُ ومَنْ معه، ثم ارتدَّ كما كان[٥]. وقد مضى هذا المعنى في سورة «البقرة»[٦].

قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ أي: قرَّبناهم إلى البحر؛ يعني فرعونَ وقومه. قاله ابن عباس وغيره؛ قال الشاعر:

وكلُّ يومٍ مَضى أو ليلةٍ سلَفَتْ فيها النفوسُ إلى الآجالِ تَزْدَلِفُ[٧]

أبو عبيدة[٨]: «أَزْلَفْنَا»: جمعنا، ومنه قيل لليلة المزدلفة: ليلة جَمْع.

---

(١) النكت والعيون ٤/ ١٧٤.

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٥٨٥، والبيت ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٨٦ من غير نسبة.

(٣) ١١/ ٤٥.

(٤) المثبت من (ظ) وأحكام القرآن لابن العربي، وفي (د) و(ز): فينغرق، وفي (م): فينغلق.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٤٢٣.

(٦) ٢/ ٩٣.

(٧) النكت والعيون ٤/ ١٧٥.

(٨) في مجاز القرآن ٢/ ٨٧.

وقرأ عبد الله بن الحارثِ وأُبيُّ بن كعب وابن عباس: «وَأَزْلَقْنَا»[١] بالقاف على معنى أهلكناهم، من قوله: أزلقَتِ الناقةُ وأزلقَتِ الفرسُ فهي مُزْلِقٌ إذا أزلقَتْ ولدَها[٢].

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ يعني فرعون وقومه[٣].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ أي: علامةً على قدرة الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لأنَّه لم يؤمن من قوم فرعونَ إلَّا مؤمن آل فرعون واسمه حِزْقيل[٤]، وابنتُه آسية امرأة فرعون، ومريم بنت ذا موسى[٥] العجوز التي دلَّت على قبر يوسف الصِّدِّيق عليه السلام[٦]. وذلك أنَّ موسى عليه السلام لمَّا خرجَ ببني إسرائيل من مصر أظلمَ عليهم القمرُ فقالَ لقومه: ما هذا؟ فقال علماؤهم: إن يوسفَ عليه السلام لمَّا حضره الموتُ أخذَ علينا موثقاً من الله ألَّا نَخرُجَ من مصر حتى نَنقُلَ عظامَه معنا. قال موسى: فأيُّكم يدري أين[٧] قبرُه؟ قال: ما يعلَمُه إلَّا عجوزٌ لبني إسرائيل. فأرسلَ إليها، فقال: دُلِّيني على قبر يوسف. قالت: لا واللهِ لا أفعَلُ حتى تُعطيني حُكمي. قال: وما حُكمها؟ قالت: حُكمي أنْ أكونَ معكَ في الجنة. فثَقُلَ عليه، فقيل له: أعطِها حُكمَها. فدلَّتهُمُ عليه، فاحتفَروه واستخرَجوا عظامَه، فلمَّا أقلُّوها، فإذا الطريقُ مثلُ ضوءِ النهار[٨]. في روايةٍ: فأوحى الله إليه أنْ أعْطِها، ففعل، فأتَتْ بهم إلى بُحيرة، فقالت لهم: أنْضِبوا

---

(١) في المحتسب ٢/ ١٢٩ عن عبد الله بن الحارث، والشاذة ص١٠٧ عن أُبي وابن عباس رضي الله عنهما. وزاد ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٢٧ عن ابن مسعود وأبي رجاء والضحاك وابن يعمر.

(٢) تهذيب اللغة ٨/ ٤٣١ بنحوه.

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٥.

(٤) في الوسيط: خربيل.

(٥) في الوسيط: موشا، وفي تفسير البغوي: مأمويا.

(٦) الوسيط ٣/ ٣٥٥، وتفسير البغوي ٣/ ٣٨٨.

(٧) كلمة «أين» من (ظ).

(٨) النكت والعيون ٤/ ١٧٤.

هذا الماء. فأنْضَبوه، واستخرجوا عظامَ يوسف عليه السلام، فتبيَّنت لهم الطريقُ مثلَ ضوءِ النهار[١]. وقد مضى في «يوسف»[٢].

وروى أبو بُردةَ عن أبي موسى، أنَّ رسول الله ﷺ نزلَ بأعرابيٍّ فأكرمَه، فقال رسول الله ﷺ: «حاجَتُكَ؟» قال: ناقةٌ أرحَلُها، وأَعنُزاً أحْلُبُها. فقال رسول الله ﷺ: «فَلِمَ عَجَزْتَ أن تكونَ مثلَ عجوزِ بني إسرائيل؟» فقال أصحابه: وما عجوز بني إسرائيل؟ فذكر لهم حالَ هذه العجوز التي احتكمَتْ على موسى أن تكون معه في الجنة[٣].

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ نبَّه المشركين على فَرْطِ جهلِهم إذْ رغبوا عن اعتقاد إبراهيم ودينِه وهو أبوهم. والنبأُ الخبر[٤]؛ أي: اقصُصْ عليهم يا محمدُ خبرَه وحديثَه وعَيْبَه على قومه ما يعبدون[٥]. وإنما قال ذلك مُلزِماً لهم الحُجَّة. والجمهورُ من القُرَّاء على تخفيف الهمزة الثانية، وهو أحسن الوجوه؛ لأنَّهم قد أجمعوا على تخفيف الثانية من كلمةٍ واحدةٍ نحو آدم. وإن شئتَ حقَّقتَهما فقلتَ: «نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ». وإن شئتَ خفَّفتَهما فقلتَ: «نبا ابراهيم». وإن شئتَ خفَّفتَ الأولى. وثَمَّ

---

(١) أخرجها أبو يعلى (٧٢٥٤)، وابن حبان (٧٢٣)، والحاكم ٢/ ٥٧١-٥٧٢ من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ. قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا حديث غريب جداً، والأقرب أنه موقوف.

(٢) ١١/ ٤٦٢.

(٣) هو تتمة حديث أبي موسى السالف.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٨٥.

(٥) تفسير الطبري ١٧/ ٥٨٩ بنحوه.

خامسٌ إلا أنَّه بعيدٌ في العربية، وهو أن تُدْغَمَ الهمزةُ في الهمزة كما يُقال: رأَّاس للذي يبيع الرؤوس، وإنما بَعُدَ لأنك تجمَعُ بين همزتين كأنَّهما في كلمةٍ واحدة، وحَسُنَ في فَعَّال؛ لأنه لا يأتي إلا مُدغماً[١].

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: أيُّ شيءٍ تعبدون؟ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ وكانت أصنامُهم من ذهبٍ وفضةٍ ونحاسٍ وحديدٍ وخشب. ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ أي: فنقيمُ على عبادتها. وليس المرادُ وقتاً معيَّناً، بل هو إخبارٌ عمَّا هم فيه. وقيل: كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل، وكانوا في الليل يعبدون الكواكب. فيُقال: ظلَّ يفعل كذا، إذا فعلَه نهاراً، وبات يفعل كذا، إذا فعله ليلاً[٢].

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ قال الأخفش: فيه حذف، والمعنى: هل يسمعون منكم؟ أو: هل يسمعون دعاءكم؟ قال الشاعر:

القائدُ الخيلَ مَنْكُوباً دَوابِرُها ... قد أُحْكِمتْ حَكَماتِ القِدِّ والأَبَقا[٣]

قال: والأَبَق الكَتَّان فحذف. والمعنى: وأُحكِمتْ حكماتِ الأَبَق[٤]. وفي الصحاح: والأَبَق بالتحريك: القِنَّب[٥]. ورُوي عن قتادة أنه قرأ: «هَلْ يُسْمِعُونَكُمْ» بضمِّ الياء، أي: هل يسمعونكم أصواتهم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾[٦]؟ ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ أي: هل تنفعكم هذه الأصنام وترزقكم، أو تملك لكم خيراً أو ضرًّا إن

---

(١) إعراب القرآن ٣/ ١٨٢ .

(٢) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٨ ببعضه.

(٣) قائله زهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص٤٩ . قال شارح الديوان: أي: قادها في الغزو فأبعد بها حتى نكبت دوابرها، والدوابر: مآخير الحوافر، أي: أكلت الأرضُ دوابرها. قد أُحكمت: أي: قد جُعل لها القِدُّ حَكَمات، والحَكَمة: التي تكون على الأنف.

(٤) نقله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٨٢-١٨٣ عن الأخفش . وينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٦ .

(٥) الصحاح (أبق).

(٦) إعراب القرآن ٣/ ١٨٣ ، وقراءة قتادة هذه في المحتسب ٢/ ١٢٩ ، والشاذة ص١٠٧ ، وفيه عن ابن يعمر أيضاً.

عصيتُم[١]؟! وهذا استفهامٌ لتقرير الحُجَّة، فإذا لم ينفعوكم ولم يضرُّوا فما معنى عبادتكم لها؟!

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فزعوا[٢] إلى التقليد من غير حُجَّةٍ ولا دليل. وقد مضى هذا القولُ فيه[٣].

﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾من هذه الأصنام[٤] ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ الأوَّلون[٥] ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ واحدٌ يؤدِّي عن جماعة، وكذلك يُقال للمرأة: هي عدوُّ الله وعدوَّةُ الله. حكاهما الفرَّاء. قال علي بن سليمان: من قال: عدوَّة الله وأثبتَ الهاء قال: هي بمعنى معادية، ومن قال: عدو للمؤنث والجمع جعله بمعنى النسب[٦]. ووصف الجماد بالعداوة بمعنى أنهم عدوٌّ لي إن عبَدْتُهم يوم القيامة، كما قال: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢]. وقال الفرَّاء: هو من المقلوب، مجازُه: فإنِّي عدوٌّ لهم؛ لأنَّ مَنْ عاديتَه عاداك[٧].

ثم قال: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الكلبيُّ: أي: إلَّا مَنْ عَبَدَ ربَّ العالمين، أي: إلا عابِدَ ربِّ العالمين، فحذف المضاف. قال أبو إسحاق الزَّجَّاج: قال النَّحويُّون: هو استثناءٌ ليس من الأوَّل، وأجاز أبو إسحاق أن يكون من الأوَّل على أنهم كانوا يعبدون اللهَ عزَّ وجلَّ، ويعبدون معه الأصنام، فأعلَمَهم أنه تبرَّأ مما يعبدون إلا الله. وتأوَّله الفرَّاء على الأصنام وحدَها، والمعنى عنده: فإنهم لو عبدتُهم عدوٌّ لي يوم

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٥٩٠ بنحوه.

(٢) في (م): فنزعوا.

(٣) ١٤/ ٢١٦.

(٤) مجمع البيان ١٩/ ١٥٩.

(٥) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٩.

(٦) إعراب القرآن ٣/ ١٨٣.

(٧) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٩.

القيامة، على ما ذكرنا[١]. وقال الجُرْجاني: تقديرُه: أفرأيتُم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون، إلَّا ربَّ العالمين، فإنهم عدوٌّ لي. وإلا بمعنى دون وسوى، كقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان:٥٦] أي: دون الموتة الأولى.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أي: يرشدني إلى الدين[٢]. ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ أي: يرزقني[٣]. ودخول «هو» تنبيهٌ على أنَّ غيرَه لا يُطعِمُ ولا يسقي، كما تقول: زيدٌ هو الذي فعل كذا، أي: لم يفعَلْه غيرُه.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ قال: «مَرِضْتُ» رعايةً للأدب، وإلا فالمرضُ والشِّفاءُ من الله عزَّ وجلَّ جميعاً. ونظير هذا[٤] قولُ فتى موسى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[٥] [الكهف:٦٣]. ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ يريد البعثَ، وكانوا ينسِبون الموتَ إلى الأسباب، فبيَّن أنَّ الله هو الذي يميت ويُحيي.

وكلُّه بغير ياء: «يهدين» «يشفين»؛ لأنَّ الحذفَ في رؤوس الآي حسنٌ؛ لتتَّفِقَ كلُّها. وقرأ ابن أبي إسحاق على جلالته ومحلِّه من العربية هذه كلَّها بالياء؛ لأنَّ الياءَ

---

(١) من قوله قال أبو إسحاق... إلى هذا الموضع من إعراب القرآن ٣/ ١٨٣ ، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٤/ ٩٣ ، وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٨١ .

(٢) الوسيط ٣/ ٣٥٥ .

(٣) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٥ .

(٤) في (م): ونظيره .

(٥) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٩ ، وذكر الآية (٧٩) من الكهف ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، والآية (٨٢) ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ بدلاً من تلك الآية.

اسمٌ، وإنما دخلتِ النونُ لِعلَّة[١]. فإن قيل: فهذه صفةٌ لجميع الخلق، فكيف جعلَها إبراهيمُ دليلاً على هدايته ولم يهتدِ بها غيره؟ قيل: إنما ذكرها احتجاجاً على وجوب الطاعة؛ لأنَّ من أنعَمَ وجبَ أن يُطاعَ ولا يُعصى ليلتزمَ غيرُه من الطاعة ما قد التزمَها، وهذا إلزامٌ صحيح. قلت: وتجوَّز بعضُ أهل الإشارات في غوامض المعاني، فعدلَ عن ظاهر ما ذكرناه إلى ما تدفعه بداهة[٢] العقول من أنه ليس المرادُ من إبراهيم. فقال: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ أي: يُطعمني لذَّةَ الإيمان ويسقيني حلاوةَ القبول. ولهم في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ وجهان: أحدهما ـ إذا مرضتُ بمخالفتِه شَفاني برحمته. الثاني ـ إذا مرضتُ بمقاساة الخلق، شفاني بمشاهدة الحقِّ[٣]. وقال جعفر بن محمد الصادق: إذا مرضتُ بالذنوب شفاني بالتوبة[٤]. وتأوَّلوا قوله: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ على ثلاثة أوجه: فالذي يُميتني بالمعاصي يُحييني بالطاعات. الثاني: يُميتني بالخوف يُحييني بالرجاء. الثالث: يُميتني بالطمع ويُحييني بالقناعة[٥]. وقول رابع: يُميتني بالعدل ويُحييني بالفضل. وقول خامس: يُميتني بالفراق ويُحييني بالتَّلاق. وقول سادس: يُميتني بالجهل ويُحييني بالعقل، إلى غير ذلك مما ليس بشيءٍ منه مرادٌ من الآية؛ فإن هذه التأويلات الغامضة، والأمور الباطنة، إنما تكون لمن حذَقَ وعرفَ الحقَّ، وأما من كان في عمًى عن الحقِّ ولا يعرف الحقَّ، فكيف تُرمَزُ له الأمورُ الباطنة، وتُترَكُ الأمورُ الظاهرة؟ هذا محالٌ، والله أعلم.

---

(١) إعراب القرآن ٣/ ١٨٤ .

(٢) في (د) و(ز) و(ظ): بداية. وفي (م): بدائه. والمثبت من النكت والعيون.

(٣) النكت والعيون ٤/ ١٧٥-١٧٦ .

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥ .

(٥) النكت والعيون ٤/ ١٧٦ .

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ «أَطْمَعُ» أي: أرجو[١]. وقيل: هو بمعنى اليقين في حقِّه، وبمعنى الرجاء في حقِّ المؤمنين سواه. وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق: «خَطَايَايَ» وقال: ليست خطيئةٌ واحدة. قال النَّحَّاس: خطيئةٌ بمعنى خطايا معروفٌ في كلام العرب، وقد أجمعوا على التوحيد في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الملك: ١١] ومعناه: بذنوبهم. وكذا: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] معناه الصلوات، وكذا «خَطيئَتي» إن كانت خطايا. والله أعلم[٢]. قال مجاهد: يعني بخطيئتِه قولَه: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وقولَه: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ وقولَه: إنَّ سارةَ أختُه[٣]. زاد الحسن: وقوله للكوكب: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾[٤] وقد مضى بيان هذا مستوفًى[٥]. وقال الزَّجَّاج: الأنبياء بشرٌ، فيجوز أن تقعَ منهم الخطيئة، نعم لا تجوز عليهم الكبائر؛ لأنَّهم معصومون عنها[٦].

﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء حيث يُجازى العبادُ بأعمالهم. وهذا من إبراهيم إظهارٌ للعبودية، وإن كان يعلم أنه مغفورٌ له. وفي «صحيح مسلم» عن عائشة، قلتُ: يا رسول الله، ابنُ جَدْعانَ كان في الجاهلية يصِلُ الرَّحم، ويُطعِمُ المسكين، فهل ذلك نافِعُه؟ قال: «لا ينفَعُه، إنه لم يقُلْ يوماً: رَبِّ اغْفِرْ لي خطِيئتي يومَ الدِّين»[٧].

---

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٠.

(٢) إعراب القرآن ٣/ ١٨٤، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٨٧.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٨٧-٨٨. وأخرجه الطبري ١٧/ ٥٩٢-٥٩٣، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٢ - ٤٦٣. وقد سلف مرفوعاً ١٤/ ٢٢٢ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٠.

(٥) ٨/ ٤٣٨.

(٦) معاني القرآن ٢/ ٩٤. قال الرازي في تفسيره ٢٤/ ١٤٦: الجواب الصحيح أن يُحمل ذلك على ترك الأولى، وقد يُسمَّى ذلك خطأً، فإن من ملك جوهرةً وأمكنه أن يبيعها بألف ألف دينار فإن باعها بدينار قيل: إنه أخطأ. وتركُ الأولى على الأنبياء جائز.

(٧) صحيح مسلم (٢١٤). وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٢٤٦٢١)، وأخرجه أحمد (٢٤٨٩٢) بنحوه.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ «حُكْماً» معرفةً بِكَ وبحدودِكَ وأحكامِكَ. قاله ابن عباس. وقال مقاتل: فهماً وعلماً؛ وهو راجعٌ إلى الأول. وقال الكلبي: نبوَّةً ورسالةً إلى الخلق. ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ أي: بالنبيين من قبلي في الدرجة[1]. وقال ابن عباس: بأهل الجنة، وهو تأكيدُ قولِه: ﴿هَبْ لِي حُكْمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ قال ابن عباس: هو اجتماع الأمم عليه. وقال مجاهد: هو الثناء الحسن[2]. قال ابن عطية: هو الثناءُ وخُلْدُ المكانةِ بإجماع المفسرين، وكذلك أجابَ اللهُ دعوتَه، وكلُّ أمةٍ تتمسَّكُ به وتُعظِّمه، وهو على الحنيفية التي جاء بها محمدٌ ﷺ. قال مكي: وقيل: معناه: سؤاله أن يكون من ذريته في آخر الزمان من يقول الحق، فأُجيبتِ الدعوةُ في محمدٍ ﷺ. قال ابن عطية: وهذا معنًى حسنٌ، إلَّا أنَّ لفظ الآية لا يُعطيه إلا بتحكُّمٍ على اللفظ[3]. وقال القُشيري: أرادَ الدعاءَ الحسنَ إلى قيام الساعة، فإنَّ زيادةَ الثوابِ مطلوبةٌ في حقِّ كلِّ أحد.

قلتُ: وقد فعلَ اللهُ ذلك؛ إذ ليس أحدٌ يُصلِّي على النبيِّ ﷺ إلا وهو يُصلِّي على إبراهيم، وخاصَّةً في الصلوات، وعلى المنابر التي هي أفضل الحالات وأفضل الدرجات، والصلاة دعاءٌ بالرحمة. والمراد باللسان القول، وأصلُه جارحةُ الكلام.

---

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٠ بنحوه، وذكر الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٥٦ قول ابن عباس ومقاتل، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٣٠ قول مقاتل.

(٢) قول مجاهد في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨١.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥.

قال القُتبيُّ: وموضع اللسان موضع القول على الاستعارة، وقد تُكنِّي العربُ بها عن الكلمة؛ قال الأعشى[١]:

إنِّـي أتَـتْـنـي لـسـانٌ لا أُسَـرُّ بِـهـا مِن عَلْوُ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ[٢]

قال الجوهري: يُروى مِن علوُ، بضمِّ الواو وفتحها وكسرها، أي: أتاني خبر من أعلى ـ والتأنيث للكلمة. وكان قد أتاه خبر مقتل أخيه المنتشر[٣]. وروى أشهب عن مالكٍ قال: قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ لا بأس أن يُحِبَّ الرجلُ أن يُثنى عليه صالحاً ويُرى في عمل الصالحين، إذا قصد به وجهَ الله تعالى؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾[٤] [طه:٣٩] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦] أي: حبًّا في قلوب عباده وثناءً حسناً، فنبَّه تعالى بقوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ على استحباب اكتساب ما يُورِثُ الذِّكرَ الجميل[٥]. الليث بن سليمان: إذ هي الحياة الثانية. قيل:

قد ماتَ قومٌ وهُمْ في النَّاسِ أحْياءُ[٦]

قال ابن العربي[٧]: قال المحقِّقون من شيوخ الزهد: في هذا دليلٌ على الترغيب في العمل الصالح الذي يُكسب الثناء الحسن؛ قال النبيُّ ﷺ: «إذا مات ابنُ آدم انقطعَ عملُه إلا من ثلاث» الحديث[٨]. وفي روايةٍ: إنه كذلك في الغرس والزرع، وكذلك

---

(١) وهو أعشى باهلة كما في إصلاح المنطق ص٣٠ ، والكامل ٣/ ١٤٣١ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص١١١ .

(٣) الصحاح (سخر) من قوله: والتأنيث للكلمة... إلى هذا الموضع .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٤٢٤ .

(٥) أحكام القرآن للكيا الطبري ٣/ ٣٣٣ .

(٦) هذا عجز بيتٍ صدره: «موت التقيِّ حياةٌ لا انقطاع لها»، وقائله سابق بن عبد الله البربري، وهو في زهر الأكم في الأمثال والحكم ١/ ١٧٤-١٧٥ .

(٧) في أحكام القرآن ٣/ ١٤٢٤ .

(٨) كلمة الحديث من (م)، والحديث سلف ١/ ٨ .

فيمن ماتَ مرابطاً يُكتَبُ له عملُه إلى يوم القيامة. وقد بيَّناه في آخر «آل عمران»[١] والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ دعاءٌ بالجنة وبمن يرثها، وهو يردُّ قولَ بعضهم: لا أسألُ جنةً ولا ناراً.

قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ كان أبوه وعدَه في الظاهر أن يؤمن به، فاستغفرَ له لهذا، فلمَّا بانَ أنه لا يفي بما قال تبرَّأَ منه. وقد تقدَّم هذا المعنى[٢]. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: المشركين[٣]. و«كان» زائدة.

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا تفضحني على رؤوس الأشهاد، ولا تعذبني يوم القيامة[٤]. وفي البخاري عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ إبراهيمَ يرى أباه يوم القيامة عليه الغَبَرةُ والقَتَرةُ» والغبَرة هي القتَرة. وعنه عن النبيِّ ﷺ قال: «يَلقى إبراهيمُ أباه فيقول: يا ربِّ، إنَّكَ وعدتَني ألَّا تُخزِني يومَ يُبعثون، فيقول الله تعالى: إنِّي حرَّمتُ الجنةَ على الكافرين» انفرد بهما البخاري رحمه الله[٥].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ «يَوْمَ» بدلٌ من «يومَ» الأوَّل. أي: يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ أحداً[٦]. والمراد بقوله: ﴿وَلَا بَنُونَ﴾ الأعوانَ؛ لأنَّ الابنَ إذا لم ينفَعْ فغيرهُ متى ينفع؟! وقيل: ذكَرَ البنينَ؛ لأنَّه جرى ذِكْرُ والدِ إبراهيم، أي: لم ينفعه إبراهيم.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ هو استثناءٌ من الكافرين، أي: لا ينفعه مالُه ولا بنوه.

---

(١) ٥/ ٤٨٩.

(٢) ١٠/ ٤٠٠-٤٠١.

(٣) الوسيط ٣/ ٤٥٦.

(٤) سلف هذا المعنى ٥/ ٤٧٧.

(٥) في صحيحه (٤٧٦٨-٤٧٦٩).

(٦) إملاء ما منَّ به الرحمن للعكبري على هامش الفتوحات الإلهية ٤/ ١١٦.

وقيل: هو استثناءٌ من غير الجنس، أي: لكن «مَنْ أَتَى اللهَ بقلبٍ سليمٍ» ينفعه لسلامة قلبه[١]. وخصَّ القلبَ بالذكر؛ لأنه الذي إذا سَلِمَ سلِمَتِ الجوارح، وإذا فسدَ فسدَتْ سائرُ الجوارح. وقد تقدَّم في أوَّل «البقرة»[٢]. واختُلِفَ في القلب السليم فقيل: من الشكِّ والشرك، فأما الذنوبُ فليس يسلَمُ منها أحد. قاله قتادة وابن زيد وأكثرُ المفسرين. وقال سعيد بن المسيِّب: القلبُ السليم: الصحيح، وهو قلب المؤمن؛ لأنَّ قلبَ الكافرِ والمنافقِ مريضٌ؛ قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ٧]. وقال أبو عثمان النَّيسابوري[٣]: هو القلبُ الخالي عن البدعة، المطمئن إلى السُّنَّة. وقال الحسين[٤]: سليمٌ من آفة المال والبنين[٥]. وقال الجُنيد: السليم في اللغة: اللديغ؛ فمعناه: أنه قلبٌ كاللديغ من خوف الله[٦]. وقال الضَّحَّاك: السليم: الخالص[٧].

قلت: وهذا القول يجمع شتات الأقوال بعمومه وهو حسن، أي الخالص من الأوصاف الذميمة، والمتصف بالأوصاف الجميلة، والله أعلم. وقد رُويَ عن عروة أنه قال: يا بَنيَّ لا تكونوا لعَّانين فإن إبراهيم لم يلعن شيئاً قط؛ قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٨]. وقال محمد بن سيرين: القلب السليم أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور[٩]. وفي «صحيح مسلم» من حديث

---

(١) الكشاف ٣/ ١١٨ .

(٢) ١/ ٢٨٦-٢٨٧ .

(٣) في (د) و(ز): الساري، وفي (ظ) و(م): السيَّاري، والصواب: أبو عثمان النيسابوري: واسمه سعيد بن أبي سعيد، المعروف بالعيَّار، وهو عالم زاهد، توفي سنة ٤٥٧هـ . السير ١٨/ ٨٦-٨٩ .

(٤) وهو ابن الفضل، وقد سلف مراراً. ووقع في (م): الحسن .

(٥) من قوله: واختلف في القلب السليم... إلى هذا الموضع في تفسير البغوي ٣/ ٣٩٠ . وذكر الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٥٦ قول ابن المسيب.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥-٢٣٦ ، وزاد المسير ٦/ ١٣١ .

(٧) النكت والعيون ٤/ ١٧٧ .

(٨) أخرجه الطبري ١٩/ ٥٦٥ .

(٩) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/ ٩٠ .

أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «يدخلُ الجنةَ أقوامٌ أفئِدتُهم مثلُ أفئدةِ الطير»[١] يريد ـ والله أعلم ـ أنها مثلُها في أنَّها خاليةٌ من كلِّ ذنب، سليمةٌ من كلِّ عيب، لا خبرةَ لهم بأمور الدنيا، كما روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ قال: «أكثرُ أهلِ الجنةِ البُلْهُ» وهو حديث صحيح[٢]. أي: البُلْه عن معاصي الله. قال الأزهري[٣]: الأبلَهُ هنا: هو الذي طُبِعَ على الخير، وهو غافلٌ عن الشَّرِّ لا يعرفه. وقال القُتبيُّ[٤]: البُلْهُ: هم الذين غلبَتْ عليهم سلامةُ الصُّدورِ وحسنُ الظَّنِّ بالناس.

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: قُرِّبت وأُدنِيتْ ليدخلوها[٥]. وقال

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٤٠). وأخرجه أحمد (٨٣٨٢).

(٢) بل هو ضعيف، فقد أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١٩٨٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٩٨٢)، وابن عدي في الكامل ٣/ ١١٦٠، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٩٠)، والبيهقي في الشعب (١٣٦٧) من طريق سلامة بن روح، عن عقيل، عن الزهري، عن أنس مرفوعاً. سلامة بن روح قال فيه أبو زرعة: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي محله عندي محل الغفلة، وقد عدَّ هذا من منكراته، ثم هو لم يسمع من جد أبيه عقيل بن خالد، إنما أخذ من كتبه.

وأخرجه القضاعي (٩٨٩) من طريق عبد السلام بن محمد الأموي، عن سعيد بن كثير بن عفير، عن يحيى بن أيوب، عن عقيل، به. عبد السلام بن محمد قال فيه الدارقطني: ضعيف جداً. وقال الخطيب: صاحب مناكير.

(٣) في تهذيب اللغة ٦/ ٣١٢.

(٤) في غريب الحديث ١/ ١٠٩.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٧.

الزَّجَّاج: قرب دخولهم إياها ونظرهم إليها. ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ أي: أُظْهِرت[١] ﴿ٱلْجَحِيمُ﴾ يعني جهنم. ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ أي: للكافرين الذين ضلُّوا عن الهدى. أي: تظهر جهنَّم لأهلها قبل أن يدخلوها حتى يستشعروا الرَّوعَ والحُزن، كما يستشعر أهلُ الجنة الفرحَ؛ لعِلْمِهم أنَّهم يدخلون الجنة.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام والأنداد[٢] ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ من عذاب الله ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ لأنفسهم[٣]. وهذا كلُّه توبيخ[٤]. ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾ أي: قُلبوا على رؤوسهم. وقيل: دُهْوِروا وأُلقيَ بعضُهم على بعض. وقيل: جُمعوا. مأخوذٌ من الكَبْكَبَة وهي الجماعة. قاله الهرويّ. وقال النحَّاس: هو مُشتقٌّ من كَوْكَبِ الشيءِ أي: مُعظمه. والجماعة من الخيل كَوْكَبٌ وكَبْكَبة[٥]. وقال ابن عباس: جُمِعوا فطُرِحوا في النار. وقال مجاهد: دُهْوِروا. وقال مقاتل: قُذِفوا[٦]. والمعنى واحد. تقول: دهورتَ الشيءَ إذا جمعته ثم قذفتَه في مَهْوَاةٍ. يُقال: هو يُدَهْوِرُ اللُّقَمَ إذا كبَّرها[٧]. ويقال في الدعاء: كَبَّ اللهُ عدوَّ المسلمين، ولا يُقال: أكَبَّه. وكَبْكَبَه. أي: كبَّه وقلَبَه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾[٨] والأصل: كُبِّبوا، فأُبدِلَ من الباء الوسطى كافٌ استثقالاً لاجتماع الباءات[٩]. قال السُّدِّي: الضمير في «كُبْكِبُوا» لمشركي العرب ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ الآلهة ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ من كان من ذُرِّيته[١٠]. وقيل: كلُّ

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٤، وعبارة: «ونظرهم إليها» منه، وفي نسخة (ظ): «ونظرهم إياها».

(٢) مجمع البيان ١٩/ ١٦١.

(٣) تفسير البغوي ٣/ ٣٩١.

(٤) زاد المسير ٦/ ١٣١.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٨٩.

(٦) تفسير البغوي ٣/ ٣٩١، وقول ابن عباس ومجاهد أخرجهما الطبري ١٧/ ٥٩٧-٥٩٨.

(٧) المحكم لابن سيده (دهر).

(٨) الصحاح (كبب) و(كبكب) و(قلب).

(٩) غريب القرآن لابن قتيبة ص٣١٨.

(١٠) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٨٩.

مَنْ دعاه إلى عبادة الأصنام فاتَّبعه[١]. وقال قَتادة والكلبي ومقاتل: «الْغَاوُونَ»: هم الشياطين[٢]. وقيل: إنَّما تُلقى الأصنامُ في النار وهي حديدٌ ونحاسٌ لِيُعذَّبَ بها غيرُهم.

﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ يعني الإنس والشياطين والغاوين والمعبودين اختصموا حينئذٍ. ﴿تَٱللَّهِ﴾ حلفوا بالله ﴿إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في خسارٍ وتَبارٍ وحَيْرةٍ عن الحقِّ بيِّنةٍ إذ[٣] اتَّخذنا مع الله آلهةً فعبدناها كما يُعبَدُ، وهذا معنى قوله: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: في العبادة، وأنتم لا تستطيعون الآنَ نصْرَنا ولا نَصْرَ أنفسكم.

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يعني الشياطين الذين زينوا لنا عبادةَ الأصنام. وقيل: أسلافنا الذين قلَّدناهم. قال أبو العالية وعكرمة: «المُجْرِمُونَ» إبليس وابن آدم القاتل هما أوّل من سنَّ الكفر والقتل وأنواع المعاصي. ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ أي: شفعاءَ يشفعون لنا من الملائكة والنبيين والمؤمنين[٤]. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أي: صديقٍ مُشفقٍ[٥]. وكان عليٌّ ﷺ يقول: عليكم بالإخوان، فإنَّهم عُدَّةُ الدنيا وعُدَّةُ الآخرة، ألا تسمَعُ إلى قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾. الزَّمخشري: وجَمَعَ الشافعَ؛ لكثرةِ الشافعين، ووحَّدَ الصديق؛ لقِلَّته، ألا ترى أنَّ الرجلَ إذا امتُحِنَ بإرهاق ظالمٍ مضَتْ جماعةٌ وافرةٌ من أهل بلده لشفاعته؛ رحمةً له وحسبةً، وإن لم تسبِقْ له بأكثرهم معرفة، وأما الصَّديق فهو الصادق في وِدادِكَ، الذي يُهِمُّه ما يُهِمُّك فأعَزُّ من بيض الأَنُوق[٦]؛ وعن بعض الحكماء أنه سُئِلَ عن الصَّديق فقال: اسمٌ لا

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٨٤ ، وتفسير الطبري ١٧/ ٥٩٨ بنحوه.

(٢) تفسير البغوي ٣/ ٣٩١ . وذكره النحاس في معاني القرآن ٥/ ٩١ ، والماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٧٨ عن قتادة. وأخرجه عنه الطبري ١٧/ ٥٩٨ .

(٣) في (د) و(ز) و(م): إذا.

(٤) تفسير البغوي ٣/ ٣٩١ ونسب القول الأول لمقاتل والقول الثاني للكلبي . وقول عكرمة أخرجه الطبري ١٧/ ٥٩٩ .

(٥) أخرجه الطبري ١٧/ ٦٠٠ عن مجاهد بلفظ: شفيق .

(٦) قال الميداني في مجمع الأمثال ٢/ ٤٤ : الأَنوق: الرَّخَمة، وعزَّ بيضُها لأنه لا يُظفر به؛ لأن أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة.

معنى له . ويجوز أن يُريد بالصديق الجمع[١]. والحميم: القريبُ والخاصُّ، ومنه حامَّةُ الرجل، أي: أقرباؤه، وأصل هذا من الحميم: وهو الماء الحار، ومنه الحَمَّام والحُمَّى، فحامَّةُ الرَّجُلِ الذين يحرِقُهم ما أحرقَه؛ يقال: وهو حُزانَتُه، أي: يُحزِنُهم ما يُحزِنُه[٢]. ويقال: حُمَّ الشيء وأَحَمَّ إذا قَرُبَ، ومنه الحُمَّى؛ لأنها تُقَرِّبُ من الأجل. وقال علي بن عيسى: إنما سُمِّيَ القريبُ حميماً؛ لأنَّه يَحْمَى لغضبِ صاحبه، فجعله مأخوذاً من الحَمِيَّة. وقال قتادة: يُذهِبُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ يومَ القيامةِ مودَّةَ الصَّديق ورِقَّةَ الحميم[٣]. ويجوز: «ولا صَديقٌ حَميمٌ» بالرفع على موضع «مِن شافعينَ»؛ لأنَّ «مِن شافعينَ» في موضع رفع، وجَمْعُ صديقٍ أصدِقاءُ وصُدَقاءُ وصِداق، ولا يُقال: صُدُقٌ؛ للفرق بين النعت وغيره. وحكى الكوفيُّون أنه يُقال في جمعه: صُدْقان. النَّحَّاس: وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ هذا جمعُ ما ليس بنعتٍ، نحو: رغِيفٍ ورُغْفانٍ. وحكوا أيضاً: صديقٌ وأَصادِقُ. وأَفاعِلُ إنما هو جمع أَفْعَل إذا لم يكن نعتاً نحو: أشجَعُ وأَشاجِعُ. ويُقال: صديقٌ للواحد والجماعة وللمرأة[٤]؛ قال الشاعر:

نَصَبْنَ الهوى ثم ارتمينَ قلوبَنَا ... بأعْيُنِ أعداءٍ وهُنَّ صَديقُ[٥]

ويُقال: فلانٌ صُدَيِّقي، أي: أخَصُّ أصدقائي، وإنما يُصَغَّرُ على جهة المدح، كقول حُباب بن المنذر: (أنا جُذَيْلُها المُحكَّك، وعُذَيْقُها المرَجَّب) ذكره الجوهري[٦]. النَّحَّاس: وجَمْعُ حميم أحِمَّاء وأَحِمَّة، وكرهوا أفْعِلاء للتضعيف. ﴿فَلَوْ

(١) الكشاف ٣/ ١١٩ .

(٢) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٩٠ .

(٣) النكت والعيون ٤/ ١٧٨-١٧٩ .

(٤) إعراب القرآن ٣/ ١٨٥ .

(٥) قائله جرير، وهو في ديوانه ١/ ٣٧٢ ، وفيه: «بِأَسْهُمٍ» بدل: «بأعيُنٍ». والمعنى كما يقول شارحه: استَمْلَنَ أهواءنا فمالَتْ إليهن .

(٦) في الصحاح (صدق). الجِذْل واحد الأجذال: وهي أصول الحطب العِظام، والجِذْل المحكك: الذي يُنصب في المعاطنِ لتُحكَّ به الإبل الجربى، أراد أنه يشفى برأيه وتدبيره. الصحاح (جذل) و(حكك). والعُذيق تصغير عَذْق: وهي النخلة. والترجيب هنا: إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط . المحكم لابن سيده (رجب).

﴿أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ «أنَّ» في موضع رفع، المعنى: ولو وقع لنا رجوعٌ إلى الدنيا لآمنَّا حتى يكون لنا شفعاء[١]. تمنَّوا حين لا ينفعُهم التمنِّي. وإنما قالوا ذلك حين شفع الملائكة والمؤمنون؛ قال جابر بن عبد الله: قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليقول في الجنة: ما فَعَلَ فلانٌ وصديقُه في الجحيم[٢]، فلا يزالُ يشفَعُ له حتى يُشَفِّعَه اللهُ فيه، فإذا نجا قال المشركون: ﴿فما لَنَا مِن شَٰفِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾»[٣]. وقال الحسن: ما اجتمعَ ملأٌ على ذِكْرِ الله، فيهم عبدٌ من أهل الجنة، إلَّا شفَّعَهُ اللهُ فيهم، وإنَّ أهلَ الإيمان لَيشفَعُ بعضُهم في بعضٍ وهم عند الله شافعونَ مُشَفَّعون. وقال كعب: إنَّ الرَّجُلينِ كانا صديقينِ في الدنيا، فيَمُرُّ أحدُهما بصاحبه وهو يُجَرُّ إلى النار، فيقول له أخوه: واللهِ ما بقي لي إلا حسنةً واحدةً أنجو بها، خُذْها أنتَ يا أخي فتنجو بها مما أرى، وأبقى أنا وإيَّاكَ من أصحاب الأعراف. قال: فيأمرُ اللهُ بهما جميعاً فيدخلان الجنة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تقدَّم والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قال: «كَذَّبَتْ» والقومُ مُذكَّر؛ لأنَّ المعنى:

---

(١) إعراب القرآن ٣/ ١٨٥.

(٢) في (م): الجحيم، وكلاهما بمعنى.

(٣) الوسيط ٣/ ٣٥٧، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩١.

كذَّبت جماعةُ قومِ نوح، وقال: «المُرْسَلين» لأنَّ مَنْ كذَّبَ رسولاً فقد كذَّب الرسل؛ لأنَّ كلَّ رسولٍ يأمرُ بتصديقِ جميعِ الرسل. وقيل: كذَّبوا نوحاً في النبوَّة وفيما أخبرهم به من مجيء المرسلين بعده. وقيل: ذكَرَ الجنس والمُرادُ نوحٌ عليه السلام[١]. وقد مضى هذا في «الفرقان»[٢].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ أي: ابنُ أبيهم وهي أُخوَّةُ نسبٍ لا أُخوَّةَ دين[٣]. وقيل: هي أُخوَّةُ المجانسة؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] وقد مضى هذا في «الأعراف»[٤]. وقيل: هو من قولِ العرب: يا أخا بني تميم. يُريدون: يا واحداً منهم. الزمخشري: ومنه بيتُ الحماسة:

لا يَسْألونَ أخاهم حِينَ يَنْدُبُهمْ ... في النَّائباتِ على ما قال بُرْهانا[٥]

﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألا تتَّقون اللهَ في عبادة الأصنام.

﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: صادقٌ فيما أُبلِّغُكم عن الله تعالى. وقيل: «أَمِينٌ» فيما بينكم؛ فإنهم كانوا عرفوا أمانتَه وصِدْقَه من قبل؛ كمحمدٍ ﷺ في قريش.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: فاستَتِروا بطاعة الله تعالى من عقابه. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمُرُكم به من الإيمان.

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا طمَعَ لي في مالكم. ﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ أي: ما جزائي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ كرَّرَ تأكيداً.

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ **فيه مسألتان:**

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٥.

(٢) ١٥/ ٤١٠.

(٣) الوسيط ٣/ ٣٥٧.

(٤) ٩/ ٢٦٢.

(٥) الكشاف ٣/ ١٢٠، والبيت في الحماسة البصرية ١/ ٢٩، وقائله قُريط بن أُنيف كما في خزانة الأدب ٧/ ٤٤١.

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ﴾ أي: نُصدِّقُ قولَك[١]؟ ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ الواو للحال، وفيه إضمارُ قد، أي: وقدِ اتَّبعَك[٢]. «الأرْذَلُونَ» جمع الأرذَل، المُكَسَّر الأراذل، والأنثى الرُّذْلَى، والجمع الرُّذَّل. قال النحَّاس: ولا يجوز حذفُ الألفِ واللامِ في شيءٍ من هذا عند أحدٍ من النَّحْويين عَلِمْناه[٣]. وقرأ ابنُ مسعود والضحَّاك ويعقوب الحضرمي وغيرهم: «وَأَتْباعُكَ الأَرْذَلُون»[٤]. النحَّاس: وهي قراءةٌ حسنةٌ، وهذه الواو أكثر ما[٥] تتبعها الأسماء، والأفعال بعد. وأتباع جمع تَبَع، وتَبَع[٦] يكون للواحد والجمع؛ قال الشاعر:

لـه تَـبَـعٌ قـد يـعـلـمُ الـنـاسُ أنَّـهُ عـلـى مـن يُـدانـي صَـيِّـفٌ ورَبِـيـعُ[٧]

وارتفاعُ «أتْباعُكَ» يجوز أن يكون بالابتداء، و«الأرْذَلُونَ» الخبر، التقدير: أنؤمِنُ لكَ وإنما أتباعك الأرذلون. ويجوز أن يكون معطوفاً على الضمير في قوله: ﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ﴾ والتقدير: أنؤمِنُ لكَ نحن وأتباعُكَ الأرذلون فنُعَدُّ منهم؛ وحَسُنَ ذلكَ الفصلُ بقوله: «لَكَ»[٨] وقد مضى القول في الأراذل في سورة «هود»[٩] مستوفًى. ونزيده هنا بياناً وهي:

---

(١) الوسيط ٣/ ٣٥٧.

(٢) الكشاف ٣/ ١٢٠.

(٣) إعراب القرآن ٣/ ١٨٦.

(٤) المحتسب ٢/ ١٣١، وذكر هذه القراءة أيضاً عن طلحة وابن السميفع وسعيد بن أبي سعيد الأنصاري، وهي قراءة شاذة.

(٥) في (د) و(ز) و(م): أكثرها.

(٦) في (م): وتبيع.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٩٠ - ٩١، والبيت نُسب في المفضليات ص٢٧٢ إلى متمِّم بن نويرة.

(٨) المحتسب ٢/ ١٣١، ومجمع البيان ١٩/ ٦٤.

(٩) ١١/ ٩٨ - ١٠٠.

الثانية: فقيل: إنَّ الذين آمنوا به بَنوه ونساؤه وكَنَّاته وبنو أبيه[١]، واختُلِفَ هل كان معهم غيرهم أم لا؟ وعلى أن الوجهين كان فالكلُّ صالحون، وقد قال نوح: ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والذين معه هم الذين اتَّبعوه، ولا يلحقهم من قول الكفرة شَيْنٌ ولا ذَمٌّ، بل الأرذلون هم المكذِّبون لهم. قال السُّهيلي: وقد أُغرِيَ كثيرٌ من العوام بمقالةٍ رُوِيَتْ في تفسير هذه الآية: هم الحاكَة والحجَّامون، ولو كانوا حاكةً كما زعموا لكان إيمانُهم بنبيِّ الله واتِّباعُهم له مشرِّفاً لهم[٢] كما تشرَّف بِلالٌ وسَلْمانُ بسبقِهما للإسلام، فهما من وجوهِ أصحابِ النبيِّ ﷺ ومن أكابرهم، فلا ذريةُ نوحٍ كانوا حاكةً ولا حجَّامين، ولا قولُ الكَفرةِ في الحاكة والحجامين إن كانوا آمنوا بهم أرذلون ما يلحق اليوم بحاكتِنا ذمًّا ولا نقصاً؛ لأنَّ هذه حكايةٌ عن قولِ الكفَرةِ إلَّا أن تُجعلَ الكفرةُ حجةً ومقالتُهم أصلاً، وهذا جهلٌ عظيم[٣]. وقد أعلم الله تعالى أنَّ الصناعات ليست بضائرةٍ في الدين[٤].

قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ «كان» زائدة، والمعنى: وما علمي بما يعملون، أي: لم أُكَلَّفِ العلمَ بأعمالهم، إنما كُلِّفتُ أن أدعوَهم إلى الإيمان[٥]، والاعتبار بالإيمان لا بالحِرَف والصَّنائع، وكأنَّهم قالوا: إنما اتَّبعك هؤلاء الضعفاءُ طمعاً في العِزَّةِ والمال، فقال: إني لم أقِفْ على باطن أمرهم، وإنما إليَّ ظاهِرُهم. وقيل: المعنى: إني لم أعلَمْ أنَّ اللهَ يهديهم ويُضِلُّكم، ويُرشِدُهم ويُغويكم، ويُوفِّقُهم ويخذلُكم[٦]. ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ أي: في أعمالهم وإيمانهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ وجواب «لو» محذوف، أي: لو شعرتُم أنَّ حسابَهم على ربِّهم لَما عِبْتُموهم

---

(١) في (د) و(ز) و(م): ابنه.

(٢) كلمة «لهم» ليست في (د) و(ز) و(م).

(٣) التعريف والإعلام ص١٢٤-١٢٥.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٥.

(٥) الوسيط ٣/ ٣٥٧، وزاد المسير ٦/ ١٣٥.

(٦) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٣.

بصنائعهم[١]. وقراءة العامَّة: «تَشْعُرُونَ» بالتاء على المخاطبة للكفار وهو الظاهر. وقرأ ابن أبي عَبْلَة ومحمد بن السَّمَيْفَع: «لو يَشعرون» بالياء[٢]، كأنَّه خبرٌ عن الكفارِ وتركِ الخطاب لهم، نحو قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]. ورُوِيَ أنَّ رجلاً سألَ سفيان عن امرأةٍ زنَتْ وقتلَتْ ولدَها وهي مسلمة هل يُقطَعُ لها بالنار؟ فقال: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لخساسة أحوالهم وأشغالهم. وكأنهم طلبوا منه طردَ الضُّعفاءِ كما طلبَتْه قريش.

﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يعني: إنَّ الله ما أرسلني أخُصُّ ذَوي الغنى دون الفقراء، إنما أنا رسولٌ أُبلِّغُكم ما أُرسِلْتُ به، فمن أطاعني فذلك السعيدُ عند الله وإن كان فقيراً.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ أي: عن سبِّ آلهتنا وعَيْبِ ديننا[٣] ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ أي: بالحجارة. قاله قتادة. وقال ابن عباس ومقاتل: من المقتولين[٤]. قال الثُّمالِيُّ: كلُّ رَجْمٍ[٥] في القرآن فهو القتل، إلا في مريم [الآية: ٤٦]: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي: لأُسبَّنَّكَ. وقيل: «مِنَ المَرْجُومِينَ»: من المشتومين. قاله السُّدِّي. ومنه قول أبي داود[٦].

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ . فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ذلك

---

(١) الوسيط ٣/ ٣٥٨ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٣ ، وزاد المسير ٦/ ١٣٥ .

(٢) وذكرها ابن خالويه في الشاذة ص١٠٧ عن الأعرج وأبي زرعة.

(٣) تفسير الطبري ١٧/ ٦٠٣ .

(٤) الوسيط ٣/ ٣٥٨ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٣ ، وزاد المسير ٦/ ١٣٥ .

(٥) في (د) و(ز) و(م): مرجومين .

(٦) في (م): أبي دؤاد . وهذا الكلام في النكت والعيون ٤/ ١٧٩ ، وقول أبي داود هو:

صدَّت غُواةُ معدٍّ أن تُراجِعني ... كما يصدون عن لب كجفانِ

لمَّا يئِسَ من إيمانهم. والفتح الحكم وقد تقدم[١].

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ يريدُ السفينة، وقد مضى ذِكْرُها[٢]. والمشحون: المملوء[٣]، والشحن: ملء السفينة بالناس والدواب وغيرهم[٤]. ولم يؤنِّثِ الفُلكَ هاهنا؛ لأنَّ الفُلكَ هاهنا واحدٌ لا جمع.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾ أي: بعد إنجائنا نوحاً ومَنْ آمن[٥].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ التأنيث بمعنى القبيلة والجماعة[٦]. وتكذيبُهم المرسلين كما تقدَّم. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بَيِّنُ المعنى، وقد تقدَّم.

---

(١) ٢/ ٢١٤.

(٢) ٢/ ٤٩٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٥.

(٤) الوسيط ٣/ ٣٥٨، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٣، وزاد المسير ٦/ ١٣٥.

(٥) المصادر السابقة.

(٦) مجمع البيان ١٩/ ١٦٩.

قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ الرِّيعُ: ما ارتفع من الأرض في قول ابن عباسٍ وغيره، جمع رِيعة. وكم رِيعُ أرضِكَ؟ أي: كم ارتفاعُها[١]. وقال قتادة: الرِّيع: الطريق. وهو قول الضحَّاك والكلبي ومقاتل والسُّدِّي. وقاله ابن عباسٍ أيضاً[٢]. ومنه قول المُسيَّب بن عَلَس:

في الآلِ يَخْفِضُها ويَرفَعُها رِيعٌ يَلُوحُ كأنَّهُ سَحْلُ[٣]

شبَّه الطريقَ بثوبٍ أبيض[٤]. النَّحَّاس: ومعروفٌ في اللغة[٥] أن يُقال لِما ارتفعَ من الأرض: رِيعٌ، وللطريق: رِيعٌ؛ قال الشاعر:

طِراقُ الخَوَافي مشرقٌ فَوْقَ رِيعَةٍ نَدَى لَيلِهِ في ريشِه يَتَرقْرَقُ[٦]

وقال عمارة: الرِّيع: الجبل، الواحد رِيعة، والجمع رِياع[٧]. وقال مجاهد: هو الفَجُّ بين الجبلين. وعنه: الثنية الصغيرة. وعنه: المنظرة[٨]. وقال عكرمة ومقاتل: كانوا يهتدون بالنجوم إذا سافروا، فبنوا على الطريق أمثالاً طوالاً ليهتدوا بها؛ يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿ءَايَةٍ﴾ أي: علامة. وعن مجاهد: الرِّيع: بنيان الحَمَام؛ دليله: ﴿تَعْبَثُونَ﴾ أي: تلعبون[٩]؛ أي: تبنون بكلِّ مكانٍ مُرتفعٍ آيةً علَماً تلعبون بها على معنى

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٦.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٩٢، والنكت والعيون ٤/ ١٨٠، والوسيط ٣/ ٣٥٨، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٣. وأخرجه الطبري ١٧/ ٦٠٨ عن ابن عباس ﷺ.

(٣) الصحاح (ريع) و(سحل).

(٤) النكت والعيون ٤/ ١٨٠.

(٥) في معاني القرآن ٥/ ٩٢.

(٦) قائله ذو الرمَّة، وهو في ديوانه ١/ ٤٨٨، وفيه: «واقعٌ» بدل «مشرقٌ»، وقد قاله وهو يصف بازياً. قال شارحه: طِراق: بعضه على بعض. الخوافي: ما دون القوادم من جناح الطائر. يترقرق: يجيء ويذهب.

(٧) الصحاح (ريع).

(٨) أخرج تلك الأقوال الطبري ١٧/ ٦٠٨-٦٠٩.

(٩) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٣. وأخرج قول مجاهد الطبري ١٧/ ٦١٠.

أبنية الحمام وبروجها. وقيل: تعبثون بمن يمرُّ في الطريق؛ أي: تبنون بكلِّ موضعٍ مُرتفعٍ لتشرفوا على السَّابلةِ فتسخروا منهم[١]. وقال الكلبي: إنَّه عبثُ العشَّارين بأموالِ من يَمرُّ بهم. ذكره الماوردي[٢]. وقال ابن الأعرابي: الرِّيع: الصَّومعة، والرِّيع: البرج من الحمام يكون في الصحراء. والرِّيع: التلُّ العالي. وفي الرِّيع لغتان: كسر الراء وفتحها، وجمعها أرياع. ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ أي: منازل. قاله الكلبي. وقيل: حُصُوناً مُشَيَّدة. قاله ابن عباس ومجاهد[٣]. ومنه قول الشاعر:

تَـرَكْـنـا ديـارَهُـم مِـنـهـم قِـفَـاراً وهَـدَّمْـنـا الـمـصـانـعَ وَالـبُـرُوجـا

وقيل: قصوراً مُشيَّدة. وقاله مجاهد أيضاً. وعنه: بروج الحمام. وقاله السُّدِّي[٤].

قلت: وفيه بُعدٌ عن مجاهد؛ لأنَّه تقدَّم عنه في الرِّيع أنه بنيان الحمام، فيكون تكراراً في الكلام. وقال قتادة: مآجِلُ للماء تحت الأرض[٥]. وكذا قال الزَّجَّاج[٦]: إنها مصانع الماء، واحدتها مَصْنَعَةٌ ومَصْنَعٌ. ومنه قول لَبِيد[٧]:

بَـلِـيـنـا ومـا تَـبْـلَـى الـنـجـومُ الـطـوالِـعُ وتَـبـقَـى الـجـبـالُ بَـعْـدَنـا والـمـصـانِـعُ

الجوهري: المَصنَعةُ: كالحوض يجتمع فيها ماء المطر، وكذلك المصنُعَة بضَمِّ النون، والمصانع: الحصون[٨]. وقال أبو عبيدة: يُقال لكل بناء: مصنعة[٩]. حكاه

---

(١) الوسيط ٣/ ٣٥٨، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٣، وزاد المسير ٦/ ١٣٦.

(٢) في النكت والعيون ٤/ ١٨١.

(٣) أخرجه الطبري ١٧/ ٦١١ عن مجاهد.

(٤) النكت والعيون ٤/ ١٨١.

(٥) النكت والعيون ٤/ ١٨١، وزاد المسير ٦/ ١٣٦. وأخرجه بنحوه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٧٤، والطبري ١٧/ ٦١١.

(٦) في معاني القرآن له ٤/ ٩٦.

(٧) في ديوانه ص١٦٨.

(٨) الصحاح (صنع).

(٩) مجاز القرآن ٢/ ٨٨.

المَهْدَوي. وقال عبد الرزاق: المصانع عندنا بلغة اليمن: القصور العادية.

﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي: كي تخلدوا. وقيل: لعلَّ استفهامٌ بمعنى التوبيخ[١]، أي: فهل تَخْلُدونَ؟ كقولك: لعلَّكَ تشتمني، أي: هل تشتمني. رُوي معناه عن ابن زيد. وقال الفرَّاء: كيما تخلدون لا تتفكرون في الموت[٢]. وقال ابن عباس وقتادة: كأنكم خالدون باقون فيها[٣]. وفي بعض القراءات «كَأَنَّكُمْ تُخَلَّدُون» ذكره النحاس[٤]. وحكى قتادة: أنها كانت في بعض القراءات «كأنكم خالِدون»[٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ البطشُ: السَّطوةُ والأخذ بالعنف، وقد بَطَش به يبطُشُ ويبطِشُ بَطْشاً، وباطشَه مُباطشةً[٦]. وقال ابن عباس ومجاهد: البَطْشُ: العَسْفُ قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط[٧]. ومعنى ذلك: فعلتُم ذلك ظلماً. وقال مجاهد أيضاً: هو ضربٌ بالسياط[٨]. ورواه مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر فيما ذكر ابن العربي[٩]. وقيل: هو القتل بالسيف في غير حق. حكاه يحيى بن سَلَّام. وقال الكلبي والحسن: هو القتل على الغضب من غير تَثَبُّتٍ. وكلُّه يرجع إلى قول ابن عباس. وقيل: إنه المؤاخذة على العمد والخطأ من غير عفوٍ ولا إبقاء[١٠]. قال ابن العربي[١١]: ويؤيِّد ما قال مالك قولُ الله تعالى عن موسى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٨.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨١ دون عبارة: لا تتفكرون بالموت، وهي في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٦.

(٣) أخرجه الطبري ١٧/ ٦١٢ عنهما بنحوه.

(٤) في معاني القرآن ٥/ ٩٣، ونسبها في المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٨ إلى أُبيّ، وهي قراءة شاذة.

(٥) النكت والعيون ٤/ ١٨١، وهي قراءة شاذة أيضاً.

(٦) الصحاح (بطش).

(٧) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٩٤ عن مجاهد.

(٨) النكت والعيون ٤/ ١٨٢.

(٩) في أحكام القرآن ٣/ ١٤٢٥.

(١٠) النكت والعيون ٤/ ١٨٢، وقول الكلبي ذكره الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٨١.

(١١) في أحكام القرآن ٣/ ١٤٢٥.

بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٩] وذلك أنَّ موسى عليه السلام لم يَسُلَّ عليه سيفاً ولا طعنَه بِرُمح، وإنما وَكَزه وكانت منيَّتُه في وَكْزَتِه. والبطش يكون باليد، وأقلُّه الوكز والدفع، ويليه السوط والعصا، ويليه الحديد، والكلُّ مذمومٌ إلا بحقٍّ.

والآية نزلت خبراً عمَّن تقدَّم من الأمم، ووعظاً من الله عزَّ وجلَّ لنا في مجانبة ذلك الفعل الذي ذمَّهم به وأنكره عليهم.

قلت: وهذه الأوصاف المذمومة قد صارت في كثيرٍ من هذه الأمة، لا سيَّما بالديار المصرية منذ وَلِيَتْها البحرية[١]، فيبطشون بالناس بالسوط والعصا في غير حق. وقد أخبر ﷺ أن ذلك يكون، كما في «صحيح مسلم»[٢] عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنفانِ من أهل النار لم أرَهُما: قومٌ معهم سِياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مُميلاتٌ مائلاتٌ، رؤوسهُنَّ كأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائلة، لا يدخُلْنَ الجنةَ ولا يَجِدْنَ ريحَها، وإنَّ ريحَها ليُوجَدُ من مسيرةِ كذا وكذا». وخرَّج أبو داود[٣] من حديث ابن عمر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا تبايعتُمْ بالعِينةِ، وأخذتُمْ أذناب البقر، ورضيتُم بالزرعِ، وتركتُم الجهادَ، سلَّطَ اللهُ عليكم ذلًّا لا ينزِعُه حتى ترجعوا إلى دينكم».

«جَبَّارِينَ»: قتَّالين. والجبَّار: القتَّال في غير حقٍّ، وكذلك قولُه تعالى: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. قاله الهروي. وقيل: الجبَّار: المتسلِّط العاتي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥] أي: بمسلَّط. قال الشاعر:

سَلَبْنَا من الجَبَّارِ بالسَّيفِ مُلْكَهُ ... عَشِيًّا وأطرافُ الرِّمَاحِ شَوَارِعُ

---

(١) هم جماعة من الأتراك المماليك اشتراهم الملك الصالح نجم الدين أيوب، وجعلهم بطانته، وأمَّر بعضهم، وسبب تسميتهم البحرية أن التجار جلبوهم في البحر من بلاد القفجاق. السير ٢٣/ ١٩١-١٩٢.

(٢) (٢١٢٨)، وقد سلف ١٥/ ٣٤١.

(٣) في سننه (٣٤٦٢)، وقد سلف ٢/ ٢٩٦.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ تقدَّم. ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من الخيرات، ثم فسَّرها بقوله: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ أي: سخَّر ذلك لكم وتفضَّل بها عليكم، فهو الذي يجب أن يُعبدَ ويُشكَر ولا يُكفرَ.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إن كفرتُم به وأصررتُم على ذلك.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ كلُّ ذلك عندنا سواءٌ، لا نسمع منك، ولا نلوي على ما تقولُه. وروى العباس عن أبي عمرو وبِشْر عن الكسائي: «أَوَعَظتَّ» مدغمةَ الظَّاء في التاء[١]، وهو بعيد؛ لأنَّ الظَّاء حرفُ إطباق، إنما يُدغَمُ فيما قَرُبَ منه جدًّا وكان مثلَه ومخرجَه.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: دينُهم. عن ابن عباس وغيره[٢]. وقال الفرَّاء[٣]: عادةُ الأوَّلين. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «خَلْقُ الأَوَّلِينَ»، الباقون: «خُلُقُ»[٤]. قال الهروي: وقولُه عز وجل: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: اختلافهم وكذبهم، ومن قرأ: «خُلُقُ الأَوَّلِينَ» فمعناه عادتهم، والعرب تقول: حدَّثنا فلانٌ بأحاديثِ الخَلْق، أي: بالخرافات والأحاديث المفتعلة[٥]. وقال ابن الأعرابي: الخلقُ: الدين، والخلقُ: الطبع، والخلقُ: المروءة. قال النَّحَّاس[٦]: «خُلُقُ الأَوَّلِينَ» عند الفرَّاء يعني: عادةُ الأولين. وحكى لنا محمد بن الوليد عن محمد بن يزيد قال: «خُلُقُ الأَوَّلِينَ»: مذهبُهم وما جرى عليه أمرهم؛ قال أبو جعفر: والقولان متقاربان،

---

(١) وذكرها عنهما أبو حيان في البحر المحيط ٧/ ٣٣ ، وذكر أنها رُويت عن عاصم وقرأ بها ابن محيصن وهي قراءة شاذة.

(٢) أخرجه الطبري ١٧/ ٦١٤ عن ابن عباس ﷺ.

(٣) في معاني القرآن له ٢/ ٢٨١ .

(٤) السبعة ص٤٧٢ ، والتيسير ص١٦٦ .

(٥) وقاله الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٨١ .

(٦) في إعراب القرآن ٣/ ١٨٦-١٨٧ .

ومنه الحديث عن النبيِّ ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنُهم خلُقاً»[١] أي: أحسنُهم مذهباً وعادةً وما يجري عليه الأمرُ في طاعة الله عزَّ وجلَّ، ولا يجوز أن يكون مَنْ كان حسنَ الخُلُقِ فاجراً فاضلاً، ولا أن يكون أكملَ إيماناً من السَّيِّىء الخُلُقِ الذي ليس بفاجر. قال أبو جعفر: وحُكيَ لنا عن محمد بن يزيد أنَّ معنى «خُلُقُ الأَوَّلِينَ»: تكذيبُهم وتخرُّصُهم، غير أنه كان يميل إلى القراءة الأولى؛ لأنَّ فيها مدحَ آبائهم، وأكثرُ ما جاء القرآن في صفتهم مدحُهم لآبائهم، وقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وعن أبي قِلابةَ أنه قرأ: «خُلْق» بضمِّ الخاء وإسكان اللام تخفيف «خُلُقُ». ورواها ابن جُبير عن أصحاب نافع عن نافع[٢]. وقد قيل: إن معنى «خُلُقُ الأَوَّلِينَ»: دين الأوّلين[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] أي: دين الله. و«خُلُقُ الأَوَّلِينَ» عادة الأولين، حياةٌ ثم موتٌ ولا بعث[٤]. وقيل: ما هذا الذي أنكرتَ علينا من البنيان والبطش إلا عادةُ من قبلنا، فنحن نقتدي بهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ على ما نفعل.

وقيل: المعنى: خَلْقُ أجسام الأوّلين، أي: ما خَلْقُنا إلا كخَلْقِ الأوّلين الذين خُلِقوا قبلنا وماتوا، ولم ينزل بهم شيءٌ مما تُحذِّرنا به من العذاب[٥].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ أي: بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ على ما يأتي في «الحاقة»[٦].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قال بعضُهم: أسلمَ معه ثلاث مئة ألفٍ

---

(١) أخرجه أحمد (٧٤٠٢)، وأبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه أحمد (٢٤٢٠٤)، والترمذي (٢٦١٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٩ ، وهي قراءة شاذة، والمشهور عن نافع مثل قراءة الجمهور: ﴿خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾.

(٣) النكت والعيون ٤/ ١٨٢ .

(٤) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٥ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٧ بنحوه.

(٦) عند تفسير الآية (٦).

ومئون، وهلَكَ باقيهم .﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ذكر قصةَ صالحٍ وقومِه وهم ثمود؛ وكانوا يسكنون الحِجْر كما تقدَّم في «الحجر»[1] وهي ذواتُ نخلٍ وزروعٍ ومياه .

﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ﴾ يعني: في الدنيا ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الموت والعذاب[2]. قال ابن عباس: كانوا معمَّرين لا يبقى البنيان مع أعمارهم، ودلَّ على قوله: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] فقرَّعهم صالحٌ ووبَّخهم وقال: أتظنُّون أنكم باقون في الدنيا بلا موت ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾؟!

الزمخشري: فإن قلتَ: لِمَ قال: «ونَخْلٍ» بعد قوله: «في[3] جَنَّاتٍ» والجنةُ[4] تتناولُ النخلَ أوَّلَ شيءٍ كما يتناول النَّعمُ الإبلَ كذلك من بين الأزواج، حتى إنهم

---

(١) ١٢/٢٣٨ .

(٢) زاد المسير ٦/١٣٨ ، ومجمع البيان ١٩/١٧٣ .

(٣) في النسخ: «و» بدل «في».

(٤) في (د) و(ز) و(م): والجنات.

لَيذكرون الجنةَ ولا يقصدون إلا النَّخلَ، كما يذكرون النَّعم ولا يُريدون إلا الإبل؛ قال زهير:

كَـأَنَّ عَـيْـنَـيَّ فـي غَـرْبَـي مُـقَـتَّـلَـةٍ مـن النَّـواضِـحِ تَـسْـقي جَـنَّةً سُـحُـقا[١]

يعني النخل؛ والنخلة السَّحُوق: البعيدة الطول[٢].

قلت[٣]: فيه وجهان: أحدهما: أن يخُصَّ النخلُ بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيهاً على انفراده عنها بفضله عنها. والثاني: أن يريد بالجنَّاتِ غيرَها من الشجر؛ لأنَّ اللفظ يصلح لذلك، ثم يعطف عليها النَّخل. والطَّلْعَة: هي التي تطلع من النَّخلة كنصل السيف، في جوفه شماريخُ القِنوِ، والقِنو: اسمٌ للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشَماريخه[٤]. و«هَضِيمٌ» قال ابن عباس: لطيفٌ ما دام في كُفُرَّاه. والهضيمُ: اللطيف الدقيق، ومنه قولُ امرئ القيس:

عَليَّ هَضيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ[٥]

الجوهري: ويُقال للطَّلع: هَضيم، ما لم يخرج من كُفُرَّاه؛ لدخول بعضه في بعض. والهضيمُ من النساء: اللطيفةُ الكَشْحين[٦]. ونحوه حكى الهروي؛ قال: هو المُنضَمُّ في وعائه قبل أن يظهر، ومنه رجلٌ هضيمُ الجنبين أي: مُنضَمُّهما؛ هذا قول أهل اللغة.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٢٣ ، والبيت في ديوان زهير ص٣٧ ، قال شارحه: المقتَّلة: المذلَّلة يعني الناقة. يقول: كأنَّ عينيَّ من كثرة دموعهما في غربَي ناقةٍ يُنضح عليها، قد قُتِّلت بالعمل حتى ذلَّت.

(٢) ينظر الصحاح (سحق).

(٣) يعني الزمخشري.

(٤) الكشاف ٣/ ١٢٣ .

(٥) ديوان امرئ القيس ص١٥، وصدر البيت: «إذا قلتُ هاتي نوِّليني تمايَلَتْ». قال شارحه: نوِّليني من النوال: وهو العطية. تمايلت: عطفت. ريَّا: أي: ممتلئةً لحماً وشحماً في موضع الخلخال من ساقيها، أي: ليست بناتئة العظام.

(٦) الصحاح (هضم).

وحكى الماورديُّ وغيره في ذلك اثني عشر قولاً: أحدهما: أنه الرُّطَبُ اللَّيِّن. قاله عكرمة. الثاني: هو المُذَنَّبُ من الرُّطَبِ. قاله سعيد بن جُبَير. قال النَّحَّاس: وروى أبو إسحاق عن يزيد ـ هو ابن أبي زياد كوفيٌّ ويزيد بن أبي مريم شاميٌّ ـ «ونَخْلٌ طَلْعُها هَضيمٌ» قال: منه ما قد أَرْطَبَ ومنه مُذَنَّب. الثالث: أنه الذي ليس فيه نوى. قاله الحسن. الرابع: أنه المُتَهشِّمُ المُتفَتِّتُ إذا مُسَّ تَفتَّتَ. قاله مجاهد. وقال أبو العالية: يتهشَّمُ في الفم. الخامس: هو الذي قد ضمَرَ بركوب بعضِه بعضاً. قاله الضحَّاك ومقاتل. السادس: أنَّه المتلاصقُ بعضُه ببعض. قاله أبو صخر. السابع: أنه الطَّلعُ حين يتفرَّقُ ويخضَرُّ. قاله الضحاك أيضاً. الثامن: أنَّه اليانِعُ النَّضيج. قاله ابن عباس. التاسع: أنَّه المُكتنِزُ قبل أن ينشَقَّ عنه القِشْرُ. حكاه ابن شجرة؛ قال:

كأنَّ حَمولةً تُجْلَى عليهِ هَضِيمٌ ما يُحَسُّ له شُقُوقُ

العاشر: أنه الرِّخو. قاله الحسن. الحادي عشر: أنه الرَّخْصُ اللطيف أوَّل ما يخرج، وهو الطَّلعُ النَّضِيدُ. قاله الهروي. الثاني عشر: أنه البَرْنِيُّ[1]. قاله ابن الأعرابي؛ فعيل بمعنى فاعل، أي: هنيءٌ مريءٌ من انهضام الطعام[2]. والطَّلع: اسمٌ مشتَقٌّ من الطُّلوع وهو الظهور، ومنه طلوع الشمس والقمر والنبات[3].

قوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ النَّحتُ: النَّجْرُ والبَرْي؛ نحتَه يَنْحِتُه ـ بالكسر ـ نَحْتاً أي[4]: بَراه، والنُّحَاتةُ: البُرايَة. والمِنْحَتُ: ما يُنحَتُ به[5].

---

(١) وهو ضرب من التمر، أصفر مدوَّر، وهو أجود التمر. اللسان (برن).

(٢) النكت والعيون ٤/ ١٨٢-١٨٣ دون القول الخامس والحادي عشر والثاني عشر. وذكر النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٨٧ القول الحادي عشر. وذكر البغوي في تفسيره ٣/ ٣٩٥ القول الأول والرابع والخامس والعاشر. وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٣٨ الأقوال الخمسة الأولى والقول الثامن والتاسع. وأخرج الطبري القول الأول والرابع والسادس والثامن. وقال النحاس في معاني القرآن ٥/ ٩٦: هاضم مريء ولطيف.

(٣) النكت والعيون ٤/ ١٨٣.

(٤) في (د) و(ز) و(م): إذا.

(٥) الصحاح (نحت).

وفي «وَالصَّافَّاتِ» [٩٥] قال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾. وكانوا ينحِتونها من الجبال لمَّا طالَتْ أعمارُهم وتهدَّم بناؤهم من المَدَرِ.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع[١]: «فَرِهِينَ» بغير ألف، الباقون: «فَارِهِينَ» بألف[٢]، وهما بمعنًى واحدٍ في قول أبي عبيدة وغيره، مثل: «عِظَاماً نَخِرَةً» و «نَاخِرَة». وحكاه قطرب، وحكى: فَرُهَ يفرُهُ فهو فارِهٌ، وفَرِهَ يَفْرَهُ فهو فَرِهٌ وفارِهٌ إذا كان نشيطاً. وهو نصبٌ على الحال[٣]. وفرَّقَ بينهما قومٌ فقالوا: «فَارِهِينَ»: حاذقين بنَحْتِها. قاله أبو عبيدة[٤] ورُوِيَ عن ابن عباس وأبي صالح وغيرهما[٥]. وقال عبد الله بن شدَّاد: «فَارِهِينَ»: مُتجبِّرين[٦]. ورُوِيَ عن ابن عباس أيضاً أن معنى: «فَرِهِينَ» بغير ألف: أشِرِينَ بَطِرين. وقاله مجاهد[٧]. ورُوِيَ عنه: شرهين[٨]. الضحاك: كيِّسين[٩]. قتادة: مُعْجَبين. قاله الكلبي[١٠]. وعنه: ناعمين[١١]. وعنه أيضاً: آمنين. وهو قول الحسن. وقيل: مُتخيِّرين. قاله الكلبي والسُّدِّي. ومنه قول الشاعر:

إلى فَرِهٍ يُماجِدُ كلَّ أمرٍ قصدتُ له لأختَبِرَ الطِّباعا

وقيل: مُتَعجِّبين. قاله خُصيف[١٢]. وقال ابن زيد: أقوياء[١٣]. وقيل: فَرِهين

---

(١) قوله: «ونافع» من (م).

(٢) السبعة ص٤٧٢، والتيسير ص١٦٦.

(٣) إعراب القرآن ٣/ ١٨٨. وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٨٩.

(٤) في مجاز القرآن ٢/ ٨٨.

(٥) إعراب القرآن ٣/ ١٨٧، والنكت والعيون ٤/ ١٨٣: وأخرجه عنهما الطبري ١٧/ ٦٢١.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٩٦، وأخرجه الطبري ١٧/ ٦٢٢.

(٧) إعراب القرآن ٣/ ١٨٧ ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٩٦ عن مجاهد، والنكت والعيون ٤/ ١٨٣، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٦ عن ابن عباس ﷺ.

(٨) النكت والعيون ٤/ ١٨٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٤٠، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٦.

(٩) النكت والعيون ٤/ ١٨٣، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٦. وأخرجه الطبري ١٧/ ٦٢٢.

(١٠) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٩٦ عن قتادة. وأخرجه عنه الطبري ١٧/ ٦٢٣.

(١١) ذكره البغوي ٣/ ٣٩٦ عن عكرمة.

(١٢) من قوله: وعنه أيضاً... إلى هذا الموضع من النكت والعيون ٤/ ١٨٣.

(١٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٠. وأخرجه الطبري ١٧/ ٦٢٣.

فَرِحين. قاله الأخفش. والعرب تُعاقِبُ بين الهاء والحاء؛ تقول: مَدَهْتُه ومَدَحْتُه[١]، فالفَرِهُ: الأشِرُ الفَرِحُ، ثم الفرح بمعنى المَرح مذمومٌ؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

قوله تعالى[٢]: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ قيل: المُرادُ الذين عقَروا الناقة. وقيل: التسعةُ رهطٍ[٣] الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون[٤]. قال السُّدِّيُّ وغيره: أوحى الله تعالى إلى صالح: إنَّ قومَكَ سيَعْقِرون ناقتَك. فقال لهم ذلك، فقالوا: ما كُنَّا لِنَفْعل. فقال لهم صالح: إنَّه سيولَدُ في شهركم هذا غلامٌ يَعقِرُها ويكون هلاكُكم على يديه. فقالوا: لا يولَدُ في هذا الشهر ذَكَرٌ إلا قتلناه. فوُلِدَ لتسعةٍ منهم في ذلك الشهر، فذبحوا أبناءهم، ثم وُلِدَ للعاشر فأبى أن يذبح ابنه، وكان لم يولَدْ له قبل ذلك. وكان ابنُ العاشرِ أزرقَ أحمرَ، فنبتَ نباتاً سريعاً، وكان إذا مَرَّ بالتسعة فرأوه قالوا: لو كان أبناؤنا أحياءَ لكانوا مثل هذا. وغضبَ التسعة على صالح؛ لأنَّه كان سببَ قتْلِهم أبناءَهم، فتعصَّبوا وتقاسموا بالله لنُبيِّتَنَّه وأهلَه. قالوا: نخرجُ إلى سفرٍ فيرى الناسُ سفرَنا فنكونُ في غار، حتى إذا كان الليل وخرج صالحٌ إلى مسجده أتيناه فقتلناه، ثم قلنا: ما شَهِدْنا مَهلِكَ أهلِه وإنَّا لَصادقون، فيُصدِّقوننا ويعلمون أنَّا قد خرجنا إلى سفر. وكان صالحٌ لا ينام معهم في القرية، وكان يأوي إلى مسجده، فإذا أصبح أتاهم فوعظَهم، فلمَّا دخلوا الغارَ أرادوا أن يخرجوا، فسقطَ عليهم الغارُ فقتلَهم، فرأى ذلك ناسٌ ممَّن كان قدِ اطلَّعَ على ذلك، فصاحوا في القرية: يا عبادَ الله، أما رضيَ صالحٌ أن أمرَ بقتل أولادِهم حتى قتلَهم. فأجمعَ أهلُ القرية على قتل الناقة. وقال ابن إسحاق: إنما اجتمعَ التِّسعةُ على سبِّ صالحٍ بعد

---

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٦.

(٢) هذه العبارة من (ظ).

(٣) في (م): الرهط.

(٤) هما قول واحد، وقد ذكره البغوي في تفسيره ٣/ ٣٩٦ عن مقاتل.

عَقْرِهُم الناقةَ وإنذارِهم بالعذاب[١] على ما يأتي بيانُه في سورة النمل[٢] إن شاء الله تعالى.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ هو من السِّحرِ في قول مجاهد وقتادة على ما قال المهدوي[٣]. أي: أُصِبتَ بالسِّحرِ فبَطَلَ عقلُكَ[٤]؛ لأنَّكَ بشرٌ مثلُنا فَلِمَ تدَّعي الرسالةَ دوننا؟ وقيل: من المعلَّلين بالطعام والشراب. قاله ابن عباس والكلبي وقتادة ومجاهد أيضاً فيما ذكر الثعلبي[٥]. وهو على هذا القول من السَّحْرِ وهو الرئة[٦]، أي: بشَرٌ، لك سَحْرٌ أي: رئة، تأكل وتشرب مثلنا، كما قال لبيد[٧]:

فإنْ تسألينا فِيمَ نحنُ فإنَّنَا عصافيرُ من هذا الأنامِ المُسَحَّرِ

قال امرؤ القيس[٨]:

ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ[٩]

﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قولك.

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ قال ابن عباس: إن كنتَ صادقاً فادْعُ اللهَ يُخرِجْ لنا من هذا الجبل ناقةً حمراءَ عُشَراء[١٠]، فتضعُ ونحن ننظر، وترِدُ

---

(١) عرائس المجالس ص٧٠-٧١ .

(٢) عند تفسير الآية (٤٨) وما بعدها.

(٣) وذكر هذا القول عنهما البغوي في تفسيره ٣/ ٣٩٦ ، وذكره عن مجاهد النحاس في معاني القرآن ٥/ ٩٧ .

(٤) مجمع البيان ١٩/ ١٧٣ .

(٥) وذكره البغوي في تفسيره ٣/ ٣٩٦ عن ابن عباس ﷺ.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٠ .

(٧) في (د) و(ز) و(ظ): امرؤ القيس ، والمثبت من (م).

(٨) في (د) و(ز) و(ظ): أيضاً، والمثبت من (م).

(٩) سلف وما قبله ٢/ ٢٧٢ .

(١٠) وهي التي بلغت في حملها عشرة أشهر. تهذيب اللغة ١/ ٤١٠ .

هذا الماء فتشرَبُ وتغدو علينا بمثله لبناً[١]. فدعا الله وفعل الله ذلك فـ «قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ» أي: حظٌّ من الماء[٢]، أي: لكم شِرْبُ يومٍ ولها شِرْبُ يوم، فكانت إذا كان يوم شِرْبِها شربت ماءَهم كلَّه أوَّلَ النهار، وتسقيهم اللَّبنَ آخِرَ النهار، وإذا كان يومُ شِرْبِهم كان لأنفسهم ومواشيهم وأرضهم[٣]، ليس لهم في يوم وُرودِها أن يشربوا من شِرْبها شيئاً، ولا لها أن تشرب في يومهم من مائهم شيئاً. قال الفرَّاء: الشِّرب: الحظُّ من الماء[٤]. قال النَّحَّاس: فأمَّا المصدرُ فيقال فيه: شَرِبَ شَرْباً وشُرْباً وشِرْباً وأكثرها المضمومة؛ لأنَّ المكسورةَ والمفتوحةَ يشتركان مع شيءٍ آخر، فيكون الشِّرْبُ الحظَّ من الماء، ويكون الشَّرْبُ جمعَ شاربٍ، كما قال:

فقلتُ للشَّرْبِ في دُرْنَى وقد ثَمِلُوا[٥]

إلَّا أنَّ أبا عَمرو بن العلاء والكسائي يختاران الشَّرْبَ بالفتح في المصدر، ويحتجَّان برواية بعض العلماء أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّها أيامُ أكلٍ وشَرْبٍ»[٦]. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ لا يجوز إظهار التضعيف هاهنا؛ لأنَّهما حرفان مُتحرِّكان من جنسٍ واحد. ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾ جواب النهي، ولا يجوز حذفُ الفاءِ منه، والجزم كما جاء في الأمر إلَّا شيئاً رُويَ عن الكسائي أنه يجيزه. ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ﴾ أي: على عَقْرِها لمَّا أيقَنوا بالعذاب، وذلك أنَّه أنظرهم ثلاثاً فظهرت عليهم العلامةُ في كلِّ يوم، وندموا ولم ينفَعْهُم النَّدمُ عند مُعاينةِ العذاب. وقيل: لم ينفَعْهُم النَّدمُ؛ لأنهم لم

(١) الوسيط ٣/ ٣٦٠.

(٢) قوله: «من الماء» من (م).

(٣) الوسيط ٣/ ٣٦٠ عن مقاتل.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٨.

(٥) هذا صدر بيت قائله الأعشى، وهو في ديوانه ص١٠٧، وعجزه: «شيموا وكيف يشيب الشاربُ الثَّمِلُ».

قال الأصمعي: كانت دُرنى باباً من أبواب فارس دون الحيرة. وقال غيره: باليمامة. معجم ما استعجم ٢/ ٥٥٠.

(٦) سلف ٤/ ٤٦.

يتوبوا، بل طلبوا صالحاً عليه السلام ليقتلوه لمّا أيقنوا بالعذاب[١]. وقيل: كانت ندامتُهم على تَرْكِ الولدِ إذْ لم يقتُلوه معها. وهو بعيد.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ إلى آخرها. تقدَّم. ويُقال: إنه ما آمنَ به من تلك الأمم إلا ألفان وثمانُ مئةِ رجلٍ وامرأة. وقيل: كانوا أربعةَ آلاف. وقال كعب: كان قومُ صالحٍ اثنَي عشَرَ ألفَ قبيلٍ، كلُّ قبيلٍ نحُو اثنَي عشَرَ ألفاً من سوى النساء والذُّرِّية، ولقد كان قومُ عادٍ مثلَهم ستَّ مرات.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ مضى معناه وقصته في «الأعراف»[٢] و«هود»[٣] مستوفًى والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كانوا ينكحونهم في أدبارهم، وكانوا يفعلون ذلك بالغُرباء على ما تقدَّم في «الأعراف». ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ يعني فروجَ النساء، فإنَّ الله خلقَها للنكاح[٤]. قال إبراهيم بن مُهاجر: قال لي مجاهد: كيف يقرأ عبد الله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾؟ قلتُ:

---

(١) إعراب القرآن ٣/ ١٨٨.

(٢) ٨/ ٢٧٣ - ٢٨٠.

(٣) ١١/ ١٧٣ - ١٩٠.

(٤) الوسيط ٣/ ٣٦١.

«وتذرونَ ما أصلحَ لكم ربُّكم من أزواجِكم» قال: الفرج، كما قال: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾[١] [البقرة: ٢٢٢]. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: متجاوزون لحدود الله.

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن قولك هذا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ أي: من بلدنا وقريتنا. ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم﴾ يعني اللواط ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أي: المُبغِضين[٢]، والقِلى البغض؛ قَلَيتُه أقلِيه قِلًى وقَلاءً[٣]. قال:

فلستُ بمقليِّ الخِلالِ ولا قالي[٤]

وقال آخر:

عليكِ السلامُ لا مُلِلْتِ قريبةً ومَالَكِ عندي إنْ نأيتِ قَلاءُ[٥]

﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من عذابِ عملهم[٦]. دعا اللهَ لمَّا أيِسَ من إيمانهم ألَّا يُصيبَه من عذابهم.

قال تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ ولم يكن إلا ابتناه على ما تقدَّم في «هود»[٧]. ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ روى سعيد عن قتادة قال: غبرَتْ في عذاب الله عزَّ وجلَّ. أي: بَقيَتْ. وأبو عبيدة يذهب إلى أنَّ المعنى: من الباقين في الهَرَم، أي: بَقِيَتْ حتى هَرِمَتْ[٨]. قال النَّحَّاس[٩]: يُقال للذاهب: غابر، والباقي: غابر، كما قال:

لا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بأغْبارِها إنَّكَ لا تَدْري مَنِ النَّاتِجُ[١٠]

(١) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٩٨، وهذه القراءة شاذة.

(٢) الوسيط ٣/ ٣٦١، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٦، وزاد المسير ٦/ ١٤٠.

(٣) الصحاح (قلا).

(٤) قائله امرؤ القيس، وقد سلف ١٢/ ١٤٣.

(٥) قائله نُصيب بن رباح، وهو في ديوانه ص٥٧.

(٦) الوسيط ٣/ ٣٦١، وزاد المسير ٦/ ١٤٠.

(٧) ١١/ ١٧٧.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٨٩. وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٨٩.

(٩) في معاني القرآن له ٥/ ٩٩.

(١٠) قائله الحارث بن حلزة، وقد سلف ١٢/ ٢٢٥.

وكما قال:

فما وَنَى محمدٌ مُذْ أنْ غَفَرْ ... له الإلهُ ما مَضَى وما غَبَرْ[١]

أي: ما بقي. والأغبار: بقيَّات الألبان.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ أي: أهلكناهم بالخَسْفِ والحَصْبِ[٢]؛ قال مقاتل: خسفَ اللهُ بقومِ لوطٍ، وأرسل الحجارةَ على مَنْ كان خارجاً من القرية.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ يعني الحجارة[٣] ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾. وقيل: إنَّ جبريلَ خسَفَ بقريتهم وجعلَ عاليها سافلها، ثم أتبعَها اللهُ بالحجارة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لم يكن فيها مؤمنٌ إلا بيت لوطٍ وابنتاه.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الأيكُ: الشجرُ المُلتفُّ الكثيرُ، الواحدة أيكة. ومن قرأ: «أصحابُ الأيكةِ» فهي الغَيضة. ومن قرأ: «لَيْكَةِ» فهو اسم

---

(١) الرجز للعجاج بن رؤبة، وقد سلف ٩/ ٢٧٩.

(٢) الوسيط ٣/ ٣٦١، وزاد المسير ٦/ ١٤٠.

(٣) زاد المسير ٦/ ١٤٠.

القرية . ويُقال: هما مثلُ بَكَّةَ ومكَّة. قاله الجوهري[١]. وقال النَّحَّاس[٢]: وقرأ أبو جعفر ونافع: «كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةَ المُرْسَلِينَ» وكذا قرأا[٣] في «ص»[٤]. وأجمعَ القُرَّاءُ على الخفضِ في التي في سورة «الحِجرِ»[٥] والتي في سورة «ق»[٦]، فيجب أن يُرَدَّ ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه إذْ كان المعنى واحداً. فأمَّا ما حكاه أبو عبيد من أنَّ «لَيْكَةَ» هي اسمُ القرية التي كانوا فيها، وأنَّ «الأيكة» اسمُ البلد فشيءٌ لا يثبتُ ولا يُعرَفُ من قالَه فيثبُتُ علمُه، ولو عُرِفَ مَنْ قالَه لكان فيه نظر؛ لأنَّ أهل العلم جميعاً من أهل التفسير والعلم بكلام العرب على خلافِه.

وروى عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن قَتادة قال: أُرسِلَ شعيبٌ عليه السلام إلى أُمَّتين: إلى قومِه من أهل مَدْيَن، وإلى أصحاب الأيكة؛ قال: والأيكةُ: غَيضَةٌ من شجرٍ مُلْتَفٌّ. وروى سعيد عن قَتادة قال: كان أصحابُ الأيكةِ أهلَ غَيضَةٍ وشَجَرٍ، وكانت عامَّةُ شجرِهم الدَّومَ، وهو شجَرُ المُقْل. وروى جُوَيبر[٧] عن الضَّحَّاك قال: خرجَ أصحابُ الأيكةِ ـ يعني حين أصابهم الحرُّ ـ فانضَمُّوا إلى الغَيضَةِ والشَّجر، فأرسلَ اللهُ عليهم سحابةً فاستَظَلُّوا تحتَها، فلمَّا تتامُّوا[٨] تحتَها أُحرقوا. ولو لم يكن هذا إلا ما رُوِيَ عن ابن عباس قال: والأيكةُ: الشَّجَرُ. ولا نعلمُ بين أهل اللغة اختلافاً أنَّ الأيكةَ الشَّجرُ المُلتَفُّ، فأمَّا احتجاجُ بعضِ منِ احتَجَّ بقراءةِ مَنْ قرأ في هذين الموضعين بالفتح أنَّه في الشواذِّ[٩] «ليكة» فلا حُجَّةَ له؛ والقول فيه: إنَّ

(١) في الصحاح (أيك).

(٢) في إعراب القرآن ٣/ ١٨٩-١٩٠ .

(٣) في (د) و(ز) و(م): قرأ .

(٤) الآية (١٣) ، وهي قراءة ابن كثير وابن عامر أيضاً. السبعة ص٤٧٣ ، والتيسير ص١٦٦ ، والنشر ٢/ ٣٣٦ .

(٥) الآية (٧٨).

(٦) الآية (١٤).

(٧) في جميع النسخ: ابن جبير، والصواب ما أُثبت من إعراب القرآن .

(٨) في (د) و(ز) و(م): تكاملوا . وكلاهما بمعنى .

(٩) في (د) و(ز) و(م): السواد .

أصلَه «الأيكة» ثمَّ خُفِّفَتِ الهمزةُ فأُلقيَتْ حركتُها على اللام فسقطَتْ، واستغنيتَ[١] عن ألفِ الوصل؛ لأنَّ اللامَ قد تحرَّكتْ، فلا يجوز على هذا إلَّا الخفض، كما تقول: بالأحمر تُحقِّقُ الهمزةَ، ثم تُخفِّفُها: بِلَحْمرٍ، فإن شئتَ كتبتَ في الخَطِّ على ما كتبتَه أوَّلاً، وإن شئتَ كتبتَه بالحذف، ولم يَجُزْ إلا الخفضُ. قال سيبويه[٢]: واعلم أنَّ ما لا ينصرفُ إذا دخلَتْ عليه الألفُ واللامُ أو أُضيفَ انصرفَ. ولا نعلمُ أحداً خالفَ سيبويه في هذا.

وقال الخليل[٣]: الأيكةُ: غَيْضَةٌ تُنبِتُ السِّدرَ والأراكَ ونحوَهما من ناعم الشجر.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ ولم يقُلْ أخوهم شعيب؛ لأنَّه لم يكن أخاً لأصحابِ الأيكة في النَّسب، فلمَّا ذكر مَدْيَنَ قال: «أخاهُمْ شُعَيْباً»؛ لأنَّه كان منهم[٤]. وقد مضى في «الأعراف»[٥] القولُ في نسبه. قال ابنُ زيد: أرسلَ اللهُ شُعيباً رسولاً إلى قومِه أهلِ مدين، وإلى أهلِ البادية وهم أصحابُ الأيكة[٦]. وقاله قتادة، وقد ذكرناه[٧].

﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ تخافون الله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ الآية. وإنَّما كان جوابُ هؤلاءِ الرُّسُلِ واحداً على صيغةٍ واحدة؛ لأنَّهم مُتَّفقون على الأمر بالتقوى، والطاعة والإخلاص في العبادة، والامتناع عن أخذ الأجر على تبليغ الرسالة[٨].

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ الناقصين للكيلِ والوزن[٩]. ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ

---

(١) في النسخ: واستغنت. والمثبت من إعراب القرآن.

(٢) في الكتاب ٣/ ٢٢١.

(٣) في العين ٥/ ٤٢٣.

(٤) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٧، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٤١ عن مقاتل.

(٥) ٩/ ٢٨١.

(٦) تفسير الطبري ١٧/ ٦٣٣.

(٧) ٩/ ٢٨٦.

(٨) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٧، ومجمع البيان ١٩/ ١٧٩ بنحوه.

(٩) الوسيط ٣/ ٣٦٢، وزاد المسير ٦/ ١٤٢.

﴿ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ أي: أعطوا الحقَّ. وقد مضى في «سبحان»[١] وغيرها.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ تقدَّم في «هود»[٢] وغيرها. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال مجاهد: الجِبِلَّة: هي الخَليقة. وجُبِلَ فلانٌ على كذا، أي: خُلِقَ؛ فالخُلُقُ جِبِلَّةٌ وجُبُلَّةٌ وجِبْلَةٌ وجُبْلَةٌ وجَبْلَةٌ. ذكره النَّحَّاس في «معاني القرآن»[٣]. «والجِبِلَّة» عطفٌ على الكاف والميم[٤]. قال الهروي: الجِبِلَّةُ والجُبْلَةُ والجِبِلُّ والجُبُلُّ والجَبْلُ لغات، وهو الجمع ذو العدد الكثير من الناس، ومنه قوله تعالى: ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يس: ٦٢]. قال النَّحَّاس في كتاب «إعراب القرآن» له[٥]: ويُقال: جُبُلَّةٌ والجمعُ فيهما جَبَّالٌ، وتُحذَفُ الضَّمَّةُ والكسرةُ من الباء، وكذلك التشديدُ من اللام، فيُقال: جُبْلَةٌ وجُبَلٌ، ويُقال: جِبْلَةٌ وجِبَالٌ، وتُحذَفُ الهاءُ من هذا كلِّه.

وقرأ الحسن باختلافٍ عنه: «والجُبُلَّةَ الأوَّلينَ» بضمِّ الجيم والباء؛ ورُوي عن شيبةَ والأعرج[٦]. الباقون بالكسر. قال:

والـــمـــوتُ أعـــظـــمُ حـــادثٍ فـيـمـا يَـمـرُّ عـلـى الـجِـبِـلَّـه[٧]

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ الذين يأكلون الطعامَ والشرابَ على ما تقدَّم. ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي: ما نظنُّك إلَّا من الكاذبين في أنَّكَ رسولُ الله تعالى. ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: جانباً من السماء وقطعةً منه، فننظر إليه، كما

---

(١) ١٣/ ٧٦.

(٢) ١١/ ١٩٢.

(٣) ٥/ ١٠٢.

(٤) إعراب القرآن ٣/ ٣٩١.

(٥) ٣/ ٣٩١.

(٦) المحتسب ٢/ ١٣٢ والشاذة ص١٠٧ عن الحسن وأبي حصين، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٤٢ عن الحسن وابن محيصن، وزاد المسير ٦/ ١٤٢ عن الحسن وأبي مجلز وأبي رجاء وابن يعمر وابن أبي عبلة.

(٧) قائله عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهو في ديوانه ص٧٣.

قال: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾[١] [الطور: ٤٤]. وقيل: أرادوا: أنزِلْ علينا العذاب. وهو مبالغةٌ في التكذيب. قال أبو عبيدة: الكِسْفُ: جمع كِسْفةٍ مثل سِدْرٍ وسِدْرةٍ[٢]. وقرأ السُّلَميُّ وحفص: «كِسَفاً» جمع كِسْفَة أيضاً: وهي القطعة والجانب، تقديره كِسْرة وكِسَر. قال الجوهري: الكِسْفة: القِطعة من الشيء؛ يُقال: أعطني كِسْفةً من ثوبك، والجمع كِسْفٌ وكِسَفٌ. ويُقال: الكِسْفُ والكِسْفَةُ واحد. وقال الأخفش: من قرأ «كِسْفاً» جعله واحداً، ومن قرأ: «كِسَفاً» جعله جمعاً. وقد مضى هذا في سورة «سبحان»[٣]. وقال الهروي: ومن قرأ: «كِسْفاً» على التوحيد فَجمعُه أكساف وكسوف، كأنه قال: أو تُسقِطَه علينا طبقاً واحداً، وهو من كسفتَ الشيء كَسْفاً إذا غطَّيتَه[٤]. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ . قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد؛ أي: إنَّما عليَّ التبليغُ وليس العذابُ الذي سألتُم إليَّ، وهو يُجازيكم[٥]. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ قال ابن عباس: أصابهم حرٌّ شديد، فأرسلَ اللهُ سبحانه سحابةً فهربوا إليه ليستَظِلُّوا بها، فلمَّا صاروا تحتَها صِيحَ بهم فهلَكوا[٦]. وقيل: أقامَها اللهُ فوقَ رؤوسهم، وألهبَها حرًّا حتى ماتوا من الوَمَدِ[٧]. وكان من أعظم يومٍ في الدنيا عذاباً. وقيل: بعثَ اللهُ عليهم سَموماً، فخرجوا إلى الأيكة يستظِلُّون بها، فأضرَمَها اللهُ عليهم ناراً فاحترقوا.

وعن ابن عباسٍ أيضاً وغيرِه: إنَّ الله تعالى فتحَ عليهم باباً من أبواب جهنَّم،

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٦٣٦، وأخرج عن ابن عباس ﷺ أنه قال: ﴿كِسَفًا﴾: قطعاً. وأخرج أيضاً عن الضحاك أنه قال: جانباً من السماء.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٩١.

(٣) عند تفسير الآية (٩٢).

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٨٥. وقد سلف أيضاً في سورة الإسراء.

(٥) الوسيط ٣/ ٣٦٢، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٧ بنحوه.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٥/ ١٠٣.

(٧) في النسخ: الرمد. والوَمَدُ: الحر الشديد مع سكون الريح. تاج العروس (ومَدَ).

وأرسلَ عليهم هَدَّة[١] وحرًّا شديداً فأخذَ بأنفاسِهم، فدخلوا بيوتَهم، فلم ينفعهم ظِلٌّ ولا ماءٌ، فأنضجهمُ الحرُّ، فخرجوا هرباً إلى البريَّة، فبعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ سحابةً فأظَلَّتْهم، فوجدوا لها برداً ورُوحاً ورِيحاً طيبةً، فنادى بعضُهم بعضاً، فلمَّا اجتمعوا تحتَ السحابة ألهبَها اللهُ تعالى عليهم ناراً، ورجفَتْ بهمُ الأرض، فاحترقوا كما يحترقُ الجرادُ في المقلى، فصاروا رَماداً، فذلك قولُه: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ [هود: ٩٤-٩٥]، وقولُه: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. وقيل: إنَّ الله تعالى حبسَ عنهمُ الريحَ سبعةَ أيام، وسلَّطَ عليهم الحرَّ حتى أخذَ بأنفاسِهم، ولم ينفعهم ظِلٌّ ولا ماءٌ، فكانوا يدخلون الأسرابَ ليتبرَّدوا فيها فيجدوها أشدَّ حرًّا من الظاهر، فهربوا إلى البريَّة، فأظلَّتهم سحابةٌ وهي الظُّلَّة، فوجدوا لها برداً ونسيماً، فأمطرَتْ عليهم ناراً فاحترقوا. وقال يزيد الجُرَيْريُّ: سلَّطَ اللهُ عليهم الحرَّ سبعةَ أيامٍ ولياليهنَّ، ثم رُفِعَ لهم جبلٌ من بعيد، فأتاه رجلٌ، فإذا تحتَه أنهارٌ وعيونٌ وشجرٌ وماءٌ بارد، فاجتمعوا كلُّهم تحته، فوقع عليهم الجبل وهو الظُّلَّة. وقال قتادة: بعثَ اللهُ شُعيباً إلى أُمتين: أصحاب مدين وأصحاب الأيكة، فأهلكَ اللهُ أصحابَ الأيكة بالظُّلَّة، وأمَّا أصحاب مدين فصاح بهم جبريلُ صيحةً فهلكوا أجمعين[٢]. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قيل: آمنَ بشعيبٍ من الفئتين تِسعُ مئة نفر.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عادَ إلى ما تقدَّم بيانه[٣] في أوّل السُّورةِ من إعراض المشركين عن القرآن. ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ «نَزَلَ» مخفَّفاً قرأ نافع

(١) الهَدَّة: صوتٌ ما يقع من السماء. تاج العروس (هدد).

(٢) تفسير البغوي ٢/ ١٨٢.

(٣) كلمة «بيانه» من (م).

وابن كثير وأبو عمرو. الباقون: «نَزَّلَ» مشدَّداً «بِهِ الرُّوحَ الأَمِينَ» نصباً[١]، وهو اختيارُ أبي حاتم وأبي عبيد؛ لقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ﴾ وهو مصدر نزَّلَ. والحُجَّةُ لمن قرأ بالتخفيفِ أنْ يقول: ليس هذا بمصدر[٢]؛ لأنَّ المعنى: وإنَّ القرآنَ لَتنزيلُ ربِّ العالمين، نزَلَ به جبريلُ إليك، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[٣] [البقرة: ٩٧] أي: يتلوه عليكَ، فيعيه قلبُك. وقيل: ليثبُتَ قلبُكَ[٤]. ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ أي: لئلَّا يقولوا: لَسْنا نفهمُ ما تقول. ﴿وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: وإنَّ ذِكْرَ نُزولهِ لَفي كُتُبِ الأوَّلين، يعني الأنبياء[٥]. وقيل: أي: إنّ ذِكْرَ محمدٍ عليه الصلاة والسلام في كتُبِ الأوَّلين، كما قال تعالى: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] والزُّبُر: الكُتُب، الواحد زَبُور، كرسول ورُسُل[٦]، وقد تقدَّم.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال مجاهد: يعني عبد الله بن سَلام وسلمان وغيرهما ممَّن أسلم[٧]. وقال ابن عباس: بَعثَ أهلُ مكة

---

(١) وقرأ عاصم في رواية حفص عنه «نزل» بالتخفيف و«الروح» بالرفع. السبعة ص٤٧٣، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٦٩.

(٢) في (م): بمقدر.

(٣) إعراب القرآن ٣/ ١٩١.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٨٣.

(٥) تفسير الطبري ١٧/ ٦٤٣ - ٦٤٤.

(٦) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٨٤.

(٧) أخرجه الطبري ٧/ ٦٤٤ - ٦٤٥ بنحوه، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٦.

إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمدٍ عليه الصلاة والسلام، فقالوا: إنَّ هذا لَزمانُه، وإنَّا لَنجِدُ في التوراة نعتَه وصفتَه[١]. فيرجِعُ لفظُ العلماء إلى كلِّ من كان له عِلْمٌ بكتُبِهم أسلمَ أو لم يُسلِمْ على هذا القول. وإنما صارت شَهادة أهلِ الكتاب حُجَّةً على المشركين؛ لأنَّهم كانوا يرجعون في أشياء من أمور الدين إلى أهل الكتاب؛ لأنَّهم مظنونٌ بهم علمٌ.

وقرأ ابن عامر: «أَوَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ». الباقون: «أَوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً»[٢] بالنصب على الخبر، واسم يكن «أَنْ يَعْلَمَهُ» والتقدير: أوَ لَمْ يكُنْ لهم عِلمُ علماءِ بني إسرائيل الذين أسلموا آيةً واضحةً؟ وعلى القراءة الأولى اسم كان «آيةٌ» والخبر «أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ إسرائيل»[٣]. وقرأ عاصم الجَحْدَريُّ: «أنْ تَعْلَمَهُ عُلَماءُ بني إسرائيل»[٤].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ أي: على رجلٍ ليس بعربيِّ اللسان ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ بغيرِ لُغةِ العرب لَمَا آمنوا ولَقالوا: لا نفقَه، نظيرُه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ الآية [فصلت: ٤٤]. وقيل: معناه: ولو نَزَّلناه على رجلٍ ليس من العرب لَما آمنوا به أَنَفَةً وكِبراً[٥]. يُقال: رجلٌ أعجمٌ وأعجميٌّ إذا كان غيرَ فصيحٍ وإن كان عربيًّا، ورجلٌ عجميٌّ وإن كان فصيحاً يُنسَبُ إلى أصله؛ إلا أنَّ الفرَّاءَ أجازَ أن يُقال: رجلٌ عجميٌّ بمعنى أعجميٍّ[٦].

وقرأ الحسن: «على بعضِ الأعْجَمِيِّينَ» مشدَّدةً بياءينِ جعلَه نِسْبةً. ومن قرأ: «الأعْجَمِينَ» فقيل: إنه جمع أعجم. وفيه بُعد؛ لأنَّ ما كانَ من الصفات الذي مؤنَّثُه فعلاء لا يُجمَعُ بالواو والنون، ولا مؤنَّثُه[٧] بالألف والتاء؛ لا يُقال: أحمرون ولا

---

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٨، وزاد المسير ٦/ ١٤٥.

(٢) السبعة ص٤٧٣، والتيسير ص١٦٦.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٠١.

(٤) إعراب القرآن ٣/ ١٩٢، والشاذة ص١٠٧، وزاد المسير ٦/ ١٤٥ وذكر هذه القراءة أيضاً عن الشعبي والضحاك.

(٥) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٩.

(٦) إعراب القرآن ٣/ ١٩٢. وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٨٣.

(٧) كلمة «مؤنَّثه» من النسخ الخطية، وهي ليست في (م).

حَمْراوات. وقيل: إنَّ أصلَه الأعجميِّين[١] ـ كقراءة الحسن[٢] ـ ثم حُذِفَتْ ياءُ النَّسَب، وجُعِلَ جَمْعُه بالياءِ والنونِ دليلاً عليها. قاله أبو الفتح عثمان بن جِنِّي[٣]. وهو مذهب سيبويه[٤].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ يعني القرآن، أي: الكفر به ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ . لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾. وقيل: سلَكْنا التكذيبَ في قلوبهم، فذلك الذي منعَهم من الإيمان. قاله يحيى بن سلَّام. وقال عكرمة: القسوة[٥]. والمعنى متقارب، وقد مضى في «الحجر»[٦]. وأجاز الفرَّاء الجزمَ في «لا يُؤمنُونَ»؛ لأنَّ فيه معنى الشرط والمجازاة. وزعمَ أنَّ من شأن العرب إذا وضعتْ لا موضع كي لا في مثل هذا ربما جَزَمَتْ ما بعدها وربما رفعَتْ؛ فتقول: ربطتُ الفرسَ لا ينفلِت بالرفع والجزم؛ لأنَّ معناه: إنْ لم أربِطْه ينفلِتْ، والرفعُ بمعنى: كيلا ينفلِتُ[٧]. وأنشدَ لبعضِ بني عُقيل:

وحتى رأينا أحسنَ الفِعْلِ بيننا ... مُساكَنَةً لا يقرِفُ الشرَّ قارِفُ[٨]

بالرفعِ لمَّا حذَفَ كي. ومن الجزم قول الآخر:

لَطالَما حَلَّأْتُماها[٩] لا تَرِدْ ... فخلِّياها والسِّجالَ[١٠] تَبْتَرِدْ[١١]

---

(١) في (د) و(ز) و(م): الأعجمين. بياءٍ واحدة.

(٢) في النسخ: الجحدري، والصواب: الحسن، كما يقتضيه السياق.

(٣) في المحتسب ٢/ ١٣٢ دون قوله: (ومن قرأ: «الأعجمين» فقيل: إنه جمع أعجم) وقد ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٣.

(٤) الكتاب ٣/ ٦٤٥.

(٥) النكت والعيون ٤/ ١٨٨.

(٦) ١٢/ ١٨٣.

(٧) إعراب القرآن ٣/ ١٩٣.

(٨) في (د) و(ز) و(ظ): «يقرب» و«قارب» بدل «يقرف» و«قارف»، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٣، وتفسير الطبري ١٩/ ٥٠٥.

(٩) حلَّأتَ الإبل عن الماء: إذا حبستها عن الورود. تهذيب اللغة ٥/ ٢٣٧.

(١٠) جمع سَجْل: وهي الدلو الضخمة المملوءة ماءً. اللسان (سجل).

(١١) أي: تشرب الماء لتبرد به كبدها. اللسان (برد).

قال النَّحَّاس[١]: وهذا كلُّه في «يُؤْمِنُونَ» خطأٌ عند البصريِّين، ولا يجوزُ الجزمُ بلا جازم، ولا يكونُ شيءٌ يعملُ عملاً فإذا حُذِفَ عَمِلَ عملاً أقوى من عملِه وهو موجود، فهذا احتجاجٌ بيِّنٌ.

﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ . فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ أي العذاب[٢]. وقرأ الحسن: «فَتَأْتِيَهُمْ» بالتاء، والمعنى: فتأتيهم الساعةُ بغتةً، فأُضمِرَتْ لدلالة العذابِ الواقعِ فيها، ولكثرةِ ما في القرآن من ذِكْرِها[٣]. وقال رجلٌ للحسن وقد قرأ: «فَتَأْتِيَهُمْ»: يا أبا سعيد، إنَّما يأتيهم العذاب بغتة. فانتهرَه وقال: إنَّما هي الساعةُ تأتيهم بغتةً أي: فجأةً. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانها. ﴿فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ أي: مؤَخَّرون ومُمْهلون[٤]. يطلبون الرجعة هنالك فلا يُجابونَ إليها. قال القُشيري: وقوله: ﴿فَيَأْتِيَهُم﴾ ليس عطفاً على قوله: ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟﴾ بل هو جوابُ قولِه: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فلمَّا كان جواباً للنفي انتصب، وكذلك قوله: ﴿فَيَقُولُوا۟﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ قال مقاتل: قال المشركون للنبيِّ ﷺ: يا محمد، إلى متى تَعِدُنا بالعذاب ولا تأتي به؟ فنزلت: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾[٥].

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ يعني في الدنيا[٦]. والمرادُ أهلَ مكةَ في قول

---

(١) في إعراب القرآن ٣/ ١٩٣ .

(٢) الوسيط ٣/ ٣٦٣ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٩ .

(٣) المحتسب ٢/ ١٣٣ .

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٤ .

(٥) الوسيط ٣/ ٣٦٣ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٩ ، وزاد المسير ٦/ ١٤٦ .

(٦) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٩ .

الضَّحَّاك وغيره. ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ من العذاب والهلاك ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ «ما» الأولى استفهامٌ معناه التقرير، وهو في موضع نصب بـ «أغنى»، و«ما» الثانية في موضع رفع، ويجوزُ أن تكون الثانيةُ نفياً لا موضِعَ لها[١]. وقيل: «ما» الأولى حرفُ نفيٍ، و«ما» الثانية في موضع رفعٍ بـ «أغنى»[٢] والهاء العائدة محذوفة. والتقدير: ما أغنى عنهم الزمانُ الذي كانوا يُمَتَّعونَه[٣]. وعن الزُّهري: إن عُمرَ بنَ عبد العزيزِ كانَ إذا أصبحَ أمسكَ بلحيتِه ثم قرأ: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ . ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ . مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ ثم يبكي ويقول:

نهارُكَ يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ ... ولَيلُكَ نومٌ والرَّدَى لكَ لازمُ
فلا أنتَ في الأيقاظِ يقظانُ حازمٌ ... ولا أنتَ في النُّوَّامِ ناجٍ فسالمُ
تُسَرُّ بما يَفْنَى وتفرحُ بالمنى ... كما سُرَّ باللَّذاتِ في النومِ حالمُ
وتَسعى إلى ما سوف تكره غِبَّهُ ... كذلك في الدنيا تَعيشُ البهائمُ[٤]

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ «مِن» صلة، المعنى: وَمَا أَهْلَكْنَا قرية[٥]. ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ أي: رسل[٦]. ﴿ذِكْرَىٰ﴾. قال الكِسائي: «ذِكْرَى» في موضعِ نصبٍ على الحال[٧]. النَّحَّاس: وهذا لا يُحَصِّل، والقول فيه قول الفرَّاء وأبي إسحاق أنها في موضع نصبٍ على المصدر؛ قال الفرَّاء: أي: يَذَّكَّرون ذِكْرَى؛ وهذا قولٌ صحيح؛ لأنَّ معنى ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾: إلَّا لها مُذَكِّرون. «وذِكْرَى» لا يتبيَّنُ فيه الإعراب؛ لأنَّ

(١) إعراب القرآن ٣/ ١٩٣ .
(٢) البيان لابن الأنباري ٢/ ٢١٧ .
(٣) الوسيط ٣/ ٣٦٣ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٩ .
(٤) أخرج هذه الأبيات أبو نعيم في الحلية ٥/ ٣١٩ - ٣٢٠ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٤٣ .
(٥) مجمع البيان ١٩/ ١٨٥ .
(٦) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٨٤ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٩ .
(٧) وقع في مطبوع إعراب القرآن ٣/ ١٩٣ : في موضع نصبٍ على القطع، والصواب ما أثبتناه كما في مشكل إعراب القرآن ١/ ٥٣٠ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٤٤ .

فيها ألفاً مقصورة. ويجوز «ذِكْرَى» بالتنوين، ويجوز أن يكون «ذِكرى» في موضعِ رفعٍ على إضمار مبتدأ. قال أبو إسحاق: أي: إنذارُنا ذكرى. وقال الفرَّاء: أي: ذلِكَ ذكرى، وتلِكَ ذكرى[١]. وقال ابن الأنباري[٢]: قال بعض المفسِّرين: ليس في «الشعراء» وقفٌ تامٌّ إلَّا قولُه: ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾وهذا عندنا وقفٌ حسن، ثم تبتدئ «ذِكْرَى» على معنى: هي ذكرى، أو[٣]: يُذَكِّرهم ذكرى، والوقف على «ذِكْرَى» أجود.

﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ في تعذيبهم حيثُ قدَّمنا الحُجَّةَ عليهم وأعذَرْنا إليهم[٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ يعني القرآن، بل ينزل به الروح الأمين. ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ أي: برمي الشُّهُبِ كما مضى في سورة «الحِجرِ» بيانه[٥]. وقرأ الحسن ومحمد بن السَّمَيْفَع: «وما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطُون»[٦] قال المهدَوي: وهو غيرُ جائزٍ في العربية ومخالفٌ للخطِّ. وقال النَّحَّاس[٧]: وهذا غلطٌ عند جميع النَّحْويِّين، وسمعتُ علي بن سليمان يقول: سمعتُ محمد بن يزيد يقول: هذا غلطٌ عند العلماء، إنما يكون بدخول شبهة؛ لمَّا رأى الحسنُ في آخره ياءً ونوناً وهو في موضعِ رفعٍ اشتبه عليه بالجمع المُسَلَّم فغَلِطَ، وفي

(١) إعراب القرآن ٣/ ١٩٣ - ١٩٤ . وكلام الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٨٤ ، وكلام الزجاج في معاني القرآن له ٤/ ١٠٢-١٠٣ .

(٢) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨١٤ .

(٣) في (د) و(م): أي.

(٤) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٩ .

(٥) ١٢/ ١٨٧-١٩٠ .

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٥ ، وهي في إعراب القرآن ٣/ ١٩٤ ، والمحتسب ٢/ ١٣٣ عن الحسن، وفي الشاذة ص١٠٨ عن الحسن والأعمش.

(٧) في إعراب القرآن ٣/ ١٩٤ .

الحديث: «احذروا زلَّة العالم»[١] وقد قرأ هو مع الناس: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤]، ولو كان هذا بالواو في موضعِ رفعٍ لَوَجبَ حذفُ النُّونِ للإضافة.

وقال الثعلبي: قال الفرَّاء: غلِطَ الشيخُ ـ يعني الحسن ـ فقيل ذلك للنَّضرِ بن شُمَيل، فقال: إنْ جازَ أنْ يُحتَجَّ بقولِ رؤبة والعجَّاج وذويهما، جاز أن يُحتَجَّ بقول الحسن وصاحبه، مع أنَّا نعلَمُ أنَّهما لم يقرأا بذلك إلَّا وقد سمِعا في ذلك شيئاً[٢].

وقال المؤرِّج: إنْ كان الشيطانُ من شاطَ يشيطُ كان لقراءتِهما وجه. وقال يونس بن حبيب: سمعتُ أعرابيًّا يقول: دخَلْنا بساتينَ من ورائها بَساتون، فقلتُ: ما أشبهَ هذا بقراءة الحسن[٣]!

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ قيل: المعنى: قُلْ لِمَنْ كفر هذا. وقيل: هو مخاطبةٌ له عليه الصلاة والسلام وإن كان لا يفعل هذا؛ لأنَّه معصومٌ مختارٌ، ولكنَّه خُوطِبَ بهذا والمقصودُ غيره. ودلَّ على هذا قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ أي: لئلَّا[٤] يتَّكِلوا[٥] على نسبِهم فيَدَعوا[٦] ما يجِبُ عليهم[٧].

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ٦/ ٢٠٨١ ، والبيهقي ١٠/ ٢١١ من حديث عمرو بن عوف ﷺ، بلفظ: «اتقوا زلَّة العالم»، وفي إسناده كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، وهو متروك، واتهمه الشافعي وأبو داود بالكذب. ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٦-٤٠٧ .

وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢٠٢) من طريق الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن معاذ مرفوعاً بلفظ: «إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاث: جدال منافق، وزلة عالم، ودينار تقطع أعناقكم». ثم قال: قال الدارقطني: وقد وقفه شعبة عن عمرو بن مرة، والموقوف هو الصحيح.

(٢) وذكره الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٣١ .

(٣) قول يونس بن حبيب أورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٥ .

(٤) في النسخ: لا، والمثبت من إعراب القرآن.

(٥) في (م): يتكلون.

(٦) في (م): فيدعون.

(٧) إعراب القرآن ٣/ ١٩٥ .

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ **فيه مسألتان:**

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ خَصَّ عشيرتَه الأقربين بالإنذار؛ لِتنحَسِمَ أطماعُ سائرِ عشيرتِه وأطماعُ الأجانبِ في مُفارقته إيَّاهم على الشِّرك[1]. وعشيرتُه الأقربون قريش. وقيل: بنو عبد مناف. ووقع في «صحيح مسلم»: «وأنذِر عشِيرتَكَ الأقربِينَ، ورَهطَكَ مِنهم المُخلَصِين»[2]. وظاهرُ هذا أنَّه كان قرآناً يُتلى وأنه نُسِخَ؛ إذ لم يثبُتْ نقلُه في المصحفِ ولا تواتر، ويَلزَمُ على ثبوتِه إشكالٌ، وهو أنَّه كان يَلزَمُ عليه ألَّا يُنذِرَ إلَّا مَنْ آمنَ من عشيرتِه؛ فإنَّ المؤمنينَ هم الذين يُوصَفون بالإخلاص في دين الإسلام وفي حبِّ النبيِّ ﷺ لا المشركون؛ لأنَّهم ليسوا على شيءٍ من ذلك، والنبيُّ ﷺ دعا عشيرتَه كلَّهم مؤمِنَهم وكافِرَهم، وأنذَرَ جميعَهم ومَنْ معهم ومَنْ يأتي بعدَهم ﷺ، فلم يثبُتْ ذلك نقلاً ولا معنًى[3]. وروى مسلمٌ من حديث أبي هريرةَ قال: لمَّا نزلَتْ هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ، فقال: «يا بني كعبِ بن لؤيٍّ، أنقِذوا أنفُسَكم من النَّار، يا بني مُرَّةَ بن كعب، أنقِذوا أنفُسَكم من النَّار، يا بني عبدِ شمسٍ، أنقِذوا أنفُسَكم من النَّار، يا بني عبد مَنافٍ، أنقِذوا أنفُسَكم من النَّار، يا بني هاشمٍ، أنقِذوا أنفُسَكم من النَّار، يا بني عبدِ المُطَّلبِ، أنقِذوا أنفُسَكم من النَّار، يا فاطمةُ أنقذي نفسَكِ من النَّار، فإنِّي لا أملِكُ لكم من الله شيئاً غيرَ أنَّ لكم رَحِماً سأبُلُّها بِبَلالها»[4].

---

(١) مجمع البيان ١٩/ ١٨٧ بنحوه.

(٢) صحيح مسلم (٢٠٨) من حديث عبد الله بن عباس ﷺ. وأخرجه البخاري أيضاً (٤٩٧٢).

(٣) المفهم ٧/ ٣٨٥ .

(٤) صحيح مسلم (٢٠٤). وأخرجه أحمد (٨٧٢٦). قال السندي في حاشيته على المسند: قوله: «بِبلَالها» =

الثانية: في هذا الحديث والآية دليلٌ على أنَّ القُرْبَ في الأنساب لا ينفَعُ مع البُعدِ في الأسباب، ودليلٌ على جواز صِلَةِ المؤمنِ الكافرَ وإرشادِه ونصيحتِه؛ لقوله: «إنَّ لكم رَحِماً سأَبُلُّها ببلالها»[١]، وقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ الآية [الممتحنة: ٨]، على ما يأتي بيانُه هناكَ إن شاء الله[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تقدَّم في سورة «الحِجرِ»[٣] و«سبحان»[٤] يُقال: خفضَ جناحَه إذا لانَ. ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ أي: خالفوا أمرَكَ. ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: بريءٌ من معصيتِكم إيَّايَ؛ لأنَّ عصيانَهم إيَّاه عصيانٌ للهِ عزَّ وجلَّ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لا يأمر إلَّا بما يرضاه، ومَنْ تبرَّأَ منه فقد تبرَّأَ اللهُ منه[٥].

قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: فَوِّضْ أمرَكَ إليه، فإنَّه العزيزُ الذي لا يُغالَبُ، الرَّحيمُ الذي لا يخذُلُ أولياءه[٦].

وقرأ العامَّة: «وتوكَّلْ» بالواو، وكذلك هو في مصاحفهم. وقرأ نافع وابن عامر: «فَتَوَكَّلْ» بالفاء، وكذلك هو في مصاحف المدينة والشام[٧]. ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: حين تقومُ إلى الصلاة في قول أكثر المفسرين: ابن عباس وغيره. وقال مجاهد:

= قيل: بكسر الباء، جمع بَلَل: وهو كلُّ ما بلَّ الحلقَ من ماءٍ أو لبنٍ أو غيره. ويُروى بفتحها على المصدر، أي: أصِلُكم في الدنيا. قيل: شبَّه القطيعة بالحرارة تُطفأُ بالماء.

(١) المفهم ٧/ ٣٨٤.

(٢) قوله: «إن شاء الله» من (م).

(٣) ١٢/ ٢٥٤-٢٥٥.

(٤) ١٣/ ٥٩ - ٦٠.

(٥) إعراب القرآن ٣/ ١٩٥.

(٦) مجمع البيان ١٩/ ١٨٩.

(٧) السبعة ص٤٧٣، والتيسير ص١٦٧.

يعني: حينَ تقومُ حيثُما كُنْتَ[١].

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ قال مجاهد وقتادة: في المُصلِّين[٢]. وقال ابن عباس: أي في أصلاب الآباء، آدمَ ونوحٍ وإبراهيمَ حتى أخرجَه نبيًّا[٣]. وقال عكرمة: يراك قائماً وراكعاً وساجداً. وقاله ابنُ عباسٍ أيضاً[٤]. وقيل: المعنى: إنَّكَ ترى بقلبِكَ في صلاتِكَ مَنْ خلفَكَ كما ترى بعينِكَ مَنْ قُدَّامَكَ. ورُويَ عن مجاهد؛ ذكره الماورديُّ[٥] والثعلبيُّ. وكان عليه الصلاة والسلام يَرى مَنْ خلفَه كما يَرى مَنْ بين يديه، وذلك ثابتٌ في الصحيح[٦]، وفي تأويل الآية بعيد. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ تقدَّم.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ إنَّما قال: «تَنَزَّلُ» لأنها أكثرُ ما تكون في الهواء، وأنها تمرُّ في الريح[٧].

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ تقدَّم في «الحجر»[٨]. فـ «يُلْقُونَ السَّمْعَ» صفةُ الشياطين «وَأَكْثَرُهُمْ» يرجِعُ إلى الكهنة[٩]. وقيل: إلى الشياطين[١٠].

---

(١) الوسيط ٣/ ٣٦٥ . وأخرج الطبري ١٧/ ٦٦٦ قول مجاهد .

(٢) معاني القرآن للنحاس ٥/ ١٠٧ ، وأخرجه الطبري ١٧/ ٦٦٧-٦٦٨ عن مجاهد .

(٣) معاني القرآن للنحاس ٥/ ١٠٧ .

(٤) أخرجه عنهما الطبري ١٧/ ٦٦٦-٦٦٧ .

(٥) في النكت والعيون ٤/ ١٨٩ ، وأخرجه الطبري ١٧/ ٦٦٧ .

(٦) صحيح البخاري (٧١٨)، وصحيح مسلم (٤٣٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ. وأخرجه أحمد (١٢٠١١).

(٧) إعراب القرآن ٣/ ١٩٥ .

(٨) ١٢/ ١٨٧-١٨٨ .

(٩) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٤ .

(١٠) إعراب القرآن ٣/ ١٩٥ .

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ **فيه ستُّ مسائل:**

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ جمع شاعر، مثل جاهل وجُهَلاء. قال ابن عباس: هم الكفار يَتَّبِعُهُم ضُلَّالُ الجِنِّ والإنس[1]. وقيل ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾: الزائِلونَ عن الحقِّ، ودَلَّ بهذا أنَّ الشعراءَ أيضاً غاوون؛ لأنَّهم لو لم يكونوا غاوينَ ما كان أتباعُهم كذلك[2]. وقد قدَّمنا في سورة «النور»[3] أنَّ من الشِّعر ما يجوزُ إنشادهُ، ويُكرَهُ، ويَحرُمُ. روى مسلمٌ من حديث عَمرو بن الشَّريد عن أبيه قال: رَدِفتُ رسولَ اللهِ ﷺ يوماً[4] فقال: «هل معَك من شعرِ أُميَّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ شيءٌ؟» قلتُ: نعم. قال: «هِيه» فأنشدتُه بيتاً. فقال: «هِيه» ثم أنشدتُه بيتاً، فقال: «هِيه» حتى أنشدتُه مئةَ بيت[5]. هكذا صوابُ هذا السندِ وصحيحُ روايَتِه. وقد وقعَ لبعضِ رُواةِ كتابِ مُسلم: عن عمرو بن الشَّريد عن الشَّريدِ أبيه، وهو وَهَمٌ؛ لأنَّ الشَّريدَ هو الذي أردفَه رسولُ الله ﷺ، واسمُ أبي الشَّريدِ سُوَيْد. وفي هذا دليلٌ على حفظِ الأشعارِ والاعتناءِ بها إذا تضمَّنَتِ الحِكَمَ والمعاني المُستحسنةَ شرعاً وطبعاً، وإنَّما استكثَر النبيُّ ﷺ من شعر أمية؛ لأنَّه كان حكيماً؛ ألا ترى قولَه عليه الصلاة والسلام: «وكاد أميةُ بنُ أبي الصَّلْتِ أنْ يُسْلِمَ[6]»

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٥٧٣ ، وأخرجه الطبري ١٧/ ٦٧٥ .

(٢) إعراب القرآن ٣/ ١٩٦ .

(٣) ١٥/ ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٤) كلمة «يوماً» من صحيح مسلم.

(٥) صحيح مسلم (٢٢٥٥). وأخرجه أحمد (١٩٤٧٦).

(٦) أخرجه البخاري (٦١٤٧)، ومسلم (٢٢٥٦) (٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ومن قوله: هكذا صواب هذا السند... إلى هذا الموضع من المفهم ٥/ ٥٢٦-٥٢٧ . وقال مؤلفه: قوله: «هِيه» بكسر الهاء الأولى، وسكون الثانية للوقف. وهي «إيه» التي للاستزادة ، وأبدل من الهمزة هاء، =

فأما ما تضمَّنَ ذِكْرَ اللهِ وحمدَه والثناءَ عليه فذلك مندوبٌ إليه، كقول القائل:

الحمدُ للهِ العليِّ المنان صارَ الثريدُ في رؤوس العيدان

أو ذِكْرَ رسولِ الله ﷺ أو مَدْحَه كقول العباس:

مِن قبلها طِبْتَ في الظِّلال وفي مُسْتودَعٍ حيثُ يُخصَفُ الورَقُ

ثمَّ هبطتَ البلادَ لا بشرٌ أنتَ ولا مُضْغةٌ ولا عَلَقُ

بل نطفةٌ تركَبُ السَّفِينَ وقَدْ أَلْجَمَ نَسْراً وأهلَه الغَرَقُ

تُنقَلُ مِن صَالبٍ إلى رَحِمٍ إذا مَضَى عالَمٌ بَدا طَبَقُ

فقال له النبيُّ ﷺ: «لا يَفْضُضُ اللهُ فاكَ»[1].

أو الذبَّ عنه، كقول حسان:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنهُ وعندَ اللهِ في ذاك الجزاءُ

وهي أبياتٌ ذكَرها مسلمٌ في «صحيحه»[2] وهي في السير أتَمُّ.

أو الصلاةَ عليه، كما روى زيدُ بن أسلم: خرجَ عمرُ ليلةً يحرُسُ، فرأى مِصباحاً في بيتٍ، وإذا عجوزٌ تَنفِشُ صوفاً وتقول:

على محمدٍ صلاةُ الأبرارْ صلَّى عليه الطيِّبون الأخيارْ

قد كنتَ قوَّاماً بُكاً بالأسحارْ يا ليتَ شِعْري والمنايا أطوارْ

هل يَجمَعنِّي وحبيبيَ الدارْ

يعني النبيَّ ﷺ؛ فجلس عمرُ يبكي[3].

= وهي اسمٌ لفعل الأمر الذي هو: زِدْ. وهي مبنيةٌ على الكسر؛ لوقوعها موقع المبني الذي هو الأمر. وفي الصحاح: إذا قلت: إيهِ يا رجل، فإنما تأمره بأن يزيدك من حديثه المعهود. وإن قلت: إيهٍ بالتنوين، كأنك قلت: هاتِ حديثاً؛ لأن التنوين تنكير.

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٤٢٧ - ١٤٢٨ . وأخرجه الطبراني في الكبير (٤١٦٧)، والحاكم ٣/ ٣٢٨ وقال: هذا حديث تفرد به رواتُه الأعراب عن آبائهم، وأمثالهم من الرواة لا يضعون.

(٢) برقم (٢٤٩٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٠٢٤).

وكذلك ذِكْرَ أصحابِه ومَدْحَهم ﷺ؛ ولقد أحسن محمد بن سابق حيثُ قال:

إنِّي رضيتُ عليًّا للهُدَى عَلَماً ... كما رضيتُ عَتيقاً صاحبَ الغارِ
وقد رضيتُ أبا حفصٍ وشيعتَهُ ... وما رضيتُ بقتلِ الشيخِ في الدارِ
كلُّ الصحابةِ عندي قُدوةٌ عَلَمٌ ... فهل عليَّ بهذا القولِ من عارِ
إنْ كُنتَ تعلمُ أنِّي لا أحِبُّهمُ ... إلَّا مِنَ اجلِكَ فاعْتِقْني من النارِ[1]

وقال آخرُ فأحسَنَ:

حُبُّ النبيِّ رسولِ اللهِ مُفْتَرَضٌ ... وحُبُّ أصحابِه نورٌ بِبُرهانِ
من كان يعلَمُ أنَّ اللهَ خالِقُهُ ... لا يَرمِيَنَّ أبا بكرٍ بِبُهتانِ
ولا أبا حفصٍ الفاروقَ صاحِبَهُ ... ولا الخليفةَ عثمانَ بنَ عفَّانِ
أمَّا عليٌّ فمشهورٌ فضائِلُهُ ... والبيت لا يَستوِي إلا بأركانِ

قال ابن العربي[2]: أمَّا الاستعاراتُ في التشبيهاتِ فمأذونٌ فيها وإنِ استغرَقَتِ الحدَّ وتجاوزتِ المُعتادَ؛ فبِذلِكَ يضرِبُ المَلَكُ المُوكَّلُ بالرؤيا المثَلَ، وقد أنشد كعب بن زهير النبيَّ ﷺ:

بانَتْ سعادُ فقلبي اليومَ مَتْبولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبُولُ
وما سُعادُ غَداةَ البَيْنِ إذ رَحَلُوا ... إلا أَغَنُّ غَضيضُ الطَّرْفِ مَكحولُ
تَجلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ ... كأنَّهُ مُنْهَلٌ بالرَّاحِ مَعْلولُ

فجاء في هذه القصيدة من الاستعاراتِ والتشبيهاتِ بكلِّ بديع، والنبيُّ ﷺ يسمع ولا يُنكِرُ في تشبيهه رِيقَها بالرَّاح.

وأنشد أبو بكر ﷺ:

فَقَدْنا الوحيَ إذْ وَلَّيتَ عنَّا ... وودَّعَنا مِنَ اللهِ الكلامُ

(١) الأبيات دون البيت الثالث في تاريخ ابن عساكر ٤٢/ ٥٣٣ .
(٢) في أحكام القرآن ٣/ ١٤٣٤ .

سوى ما قد تركتَ لنا رهيناً تَوارثَهُ القَراطيسُ الكرامُ
فقد أورَثْتَنا ميراثَ صِدْقٍ عليكَ به التَّحيةُ والسَّلامُ

فإذا كان رسولُ الله ﷺ يسمَعُه وأبو بكر يُنشِدُه، فهل للتقليدِ والاقتداءِ موضعٌ أرفَعُ من هذا؟! قال أبو عمر: ولا يُنكِرُ الحسَنَ من الشِّعرِ أحدٌ من أهل العلم ولا من أولي النُّهى، وليس أحدٌ من كبار الصَّحابةِ وأهلِ العلم وموضعِ القُدوةِ إلَّا وقد قال الشعر، أو تمثَّلَ به، أو سمِعَه فَرَضِيَه، ما كان حكمةً أو مباحاً، ولم يكن فيه فُحْشٌ ولا خنا ولا لمسلمٍ أذى، فإذا كان كذلِكَ فهو والمنثورُ من القول سواءٌ لا يحِلُّ سماعُه ولا قولُه. وروى أبو هريرةَ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ على المنبر يقول: «أصدقُ كَلِمةٍ ـ أو أَشْعَرُ كلمةٍ ـ قالَتْها العربُ قولُ لَبيد:

أَلَا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطِلُ

أخرجه مسلم، وزاد: «وكادَ أميةُ بنُ أبي الصَّلْتِ أنْ يُسلِمَ»[1]. ورُوي عن ابن سيرينَ أنه أنشدَ شعراً فقال له بعضُ جُلسائه: مثلُكَ يُنشِدُ الشِّعرَ يا أبا بكر؟! فقال: ويلَكَ يا لُكَع، وهلِ الشِّعرُ إلَّا كلامٌ لا يُخالِفُ سائرَ الكلامِ إلَّا في القوافي، فحسَنُه حسنٌ وقبيحُه قبيح؟! قال: وقد كانوا يتذاكرون الشِّعر. قال: وسمعتُ ابنَ عُمرَ يُنشِدُ:

يُحِبُّ الخمرَ من مالِ النَّدامَى ويَكرهُ أنْ يُفارِقَهُ الغَلُوسُ[2]

وكان عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود ـ أحدُ فُقهاءِ المدينةِ العشرة ثم المشيخةِ السبعة ـ شاعراً مجيداً مُقدَّماً فيه[3]. وللزُّبير بن بكَّار القاضي في أشعاره كتاب، وكانتْ له زوجةٌ حسنةٌ تُسمَّى عَثْمة، فعتِبَ عليها في بعض الأمر فطلقَّها، وله فيها أشعارٌ كثيرة، منها قوله:

---

(١) صحيح مسلم (٢٢٥٦) (٣). وأخرجه أيضاً البخاري (٦١٤٧) بتلك الزيادة، وقد سلفت قريباً.

(٢) التمهيد ٢٢/ ١٩٤-١٩٥ . والغَلوس تصغير الغَلَس: وهو ظلمة آخر الليل. الصحاح (غلس). وأثر ابن سيرين أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٧١).

(٣) التمهيد ٩/ ٧ .

تـغَـلـغَـلَ حُـبُّ عَـثْـمـةَ فـي فـؤادي فـبـادِيـهِ مـع الـخـافـي يَـسـيـرُ
تـغَـلـغَـلَ حـيـثُ لـم يـبـلُـغْ شَـرابٌ ولا حُـزنٌ ولـم يـبـلُـغْ سُـرورُ
أكـادُ إذا ذكـرتُ الـعـهـدَ مـنـهـا أطـيـرُ لَـوَ انَّ إنـسـانـاً يَـطـيـرُ[1]

وقال ابن شهاب: قلتُ له: تقول الشِّعَر في نُسكِكَ وفضلِكَ؟! فقال: إنَّ المصدورَ إذا نَفَثَ بَرَأَ.

الثانية: وأمَّا الشِّعرُ المذمومُ الذي لا يَحِلُّ سماعُه وصاحبُه مَلومٌ، فهو المُتكلِّمُ بالباطل حتى يُفضِّلوا أجبنَ الناس على عنترة، وأشحَّهم على حاتم، وأن يَبهتوا البريء ويُفسِّقوا التَّقيَّ، وأن يُفرِّطوا في القول بما لم يفعله المرء؛ رغبةً في تسلية النَّفْسِ وتحسينِ القول[2]، كما رُويَ عن الفَرَزدقِ أنَّ سليمانَ بنَ عبدِ الملك سمِعَ قولَه:

فـبِـتْـنَ بـجـانـبـيَّ مُـصَـرَّعـاتٍ وبِـتُّ أَفُـضُّ أغـلاقَ الـخـتـامِ

فقال: قد وجبَ عليك الحَدُّ. فقال: يا أمير المؤمنين، قد درأَ اللهُ عني الحَدَّ بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[3]. وروي أنَّ النعمانَ بنَ عدِيِّ بنِ نَضْلةَ كان عاملاً لعمر بن الخطاب ﷺ فقال:

مَـنْ مُـبْـلِـغُ الـحـسـنـاءِ أنَّ حـلـيـلَـهـا بـمَـيْـسَـانَ[4] يُـسـقَـى فـي زُجـاجٍ وحَـنْـتَـمِ
إذا شـئـتُ غـنَّـتْـنـي دَهـاقـيـنُ[5] قـريـةٍ ورقَّـاصـةٌ تَـجْـذو[6] عـلـى كـلِّ مَـنْـسِـمِ[7]

---

(١) الأبيات سلفت ٢/ ٢٥٦ .

(٢) من قوله: أن يفرطوا... إلى هذا الموضع في أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٤٢٩ .

(٣) الأغاني ٢١/ ٣٧٣ .

(٤) اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط . معجم البلدان ٥/ ٢٤٢ .

(٥) كلمة فارسية معرَّبة، جمع دهقان: وهو التاجر. اللسان (دهقن).

(٦) من الجُذو: وهو القيام على رؤوس الأصابع . اللسان (جذا).

(٧) أي: مِفْصل. اللسان (نسم).

فإن كنتَ نَدْماني فبِالأَكْبَرِ اسْقِني ولا تَسْقِني بالأصغرِ المُتثَلِّمِ[١]
لعَلَّ أميرَ المؤمنين يَسوءُه تَنادُمُنا بالجَوْسَقِ[٢] المُتهدِّمِ

فبلغَ ذلِكَ عُمرَ، فأرسلَ إليه بالقُدوم عليه. وقال: إي واللهِ إني ليَسوءُني ذلك. فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما فعلتُ شيئاً مما قلتُ، وإنَّما كانَتْ فضلةً من القول، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ فقال له عمر: أمَّا عُذرُكَ فقد درأَ عنكَ الحَدَّ، ولكِنْ لا تعمَلْ لي عملاً أبداً وقَدْ قُلتَ ما قُلتَ[٣]. وذكر الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ قال: حدَّثني مصعب بن عثمان أنَّ عُمرَ ابنَ عبد العزيز لمَّا وَليَ الخلافةَ لم يكن له هَمٌّ إلا عمر بن أبي ربيعة والأحوص، فكتبَ إلى عامله على المدينة: إنِّي قد عرفتُ عُمرَ والأحوصَ بالشَّرِّ والخُبثِ، فإذا أتاكَ كتابي هذا فاشدُدْ عليهما واحمِلْهما إليَّ. فلمَّا أتاه الكتابُ حملَهما إليه، فأقبل على عمر فقال: هِيه!

فلم أرَ كالتَّجميرِ منظَرَ ناظرٍ ولا كَليالي الحجِّ أفْلَتْنَ ذا هَوى
وكم مالئٍ عينيه من شيءٍ غيرِه إذا راحَ نحوَ الجمرةِ البيضُ كالدُّمَى

أمَّا واللهِ لِو اهتممتَ بحجِّكَ لم تنظُرْ إلى شيءٍ غيرِك، فإذا لم يفلَتِ الناسُ منكَ في هذه الأيام فمتى يفلَتون؟! ثم أمر بنَفْيِه، فقال: يا أمير المؤمنين، أوَ خَيرٌ من ذلك؟ فقال: ما هو؟ قال: أُعاهِدُ اللهَ أنِّي لا أعودُ إلى مثل هذا الشِّعر، ولا أذكرُ النِّساءَ في شعرٍ أبداً، وأُجَدِّدُ توبةً، فقال: أوَ تفعَلُ؟ قال: نعم. فعاهدَ اللهَ على توبتِه وخلَّاه، ثم دعا بالأحوص، فقال: هِيه!

اللهُ بيني وبينَ قَيِّمِها يَفِرُّ منِّي بها وأَتَّبِعُ

بَلِ اللهُ بين قَيِّمِها وبينَك. ثم أمرَ بنَفْيِه، فكلَّمه فيه رجالٌ من الأنصار فأبى، وقال:

---

(١) من ثَلِمَ الإناء إذا كُسِرَ حرفُه. اللسان (ثلم).

(٢) وهو القصر. معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص٤٨ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٤٢٩-١٤٣٠ .

واللهِ لا أردُّه ما كان لي سلطان، فإنَّه فاسقٌ مُجاهِرٌ[١]. فهذا حُكم الشِّعرِ المَذْمومِ وحُكمُ صاحبِه، فلا يحِلُّ سماعُه ولا إنشادُه في مسجدٍ ولا غيرِه، كمنثورِ الكلامِ القبيحِ ونحوِه. وروى إسماعيل بن عَيَّاش، عن عبد الله بن عون، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «حَسَنُ الشِّعرِ كَحسَنِ الكلامِ، وقبيحُه كقَبيحِ الكلام[٢]» رواه إسماعيل عن عبد الله الشَّامي، وحديثُه عن أهل الشَّام صحيحٌ فيما قال يحيى بنُ مَعينٍ وغيرُه[٣]. وروى عبد الله بن عَمرو بن العاص قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الشِّعرُ بمنزلةِ الكلامِ، حَسَنُه كحَسَنِ الكلام، وقبيحُه كَقبيحِ الكلام»[٤].

الثالثة: روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ يمتلئَ جَوفُ أحدِكُمْ قَيْحاً يَرِيهِ[٥] خيرٌ مِنْ أنْ يمتلِئَ شِعْراً»[٦]، وفي الصحيح أيضاً عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال: بينا نحنُ نسيرُ مع رسولِ الله ﷺ إذْ[٧] عرَضَ شاعِرٌ يُنشِدُ، فقال رسول الله ﷺ: «خُذوا الشَّيطانَ ـ أو: أمْسِكوا الشَّيطان ـ لَأَنْ يمتلِئَ جوفُ رجلٍ قيحاً خيرٌ له مِنْ أنْ يمتلِئَ شِعراً»[٨]. قال عُلماؤنا: وإنما فعلَ النبيُّ ﷺ هذا مع هذا الشاعرِ لِما عَلِمَ من حاله، فلعلَّ هذا الشاعرَ كان مِمَّنْ قد عُرِفَ من حاله أنَّه قدِ اتَّخذَ الشِّعرَ طريقاً للتكسُّبِ، فُيفرِطُ في المدحِ إذا أُعطي، وفي الهَجْوِ والذَّمِّ إذا مُنِعَ، فيؤذي

(١) الأغاني ٩/ ٦٤-٦٥ .

(٢) أخرجه الدارقطني (٤٣٠٩). وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه أبو يعلى (٤٧٦٠)، والدارقطني (٤٣٠٦) و(٤٣٠٧).

(٣) تهذيب التهذيب ١/ ١٦٣ .

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٦٥)، والطبراني في الأوسط (٧٦٩٢)، والدارقطني (٤٣٠٨).

(٥) قبلها في (د) و(م): حتى.

(٦) صحيح مسلم (٢٢٥٧). وأخرجه أحمد (٧٨٧٤)، والبخاري (٦١٥٥).

(٧) في (م): إذا.

(٨) صحيح مسلم (٢٢٥٩). وأخرجه أحمد (١١٠٥٧).

الناسَ في أموالِهم وأعراضِهم، ولا خلافَ في أنَّ مَنْ كان على مِثْلِ هذه الحالة فكلُّ ما يكتسِبُه بالشِّعرِ حرام، وكلُّ ما يقولُه من ذلك حرامٌ عليه، ولا يحِلُّ الإصغاءُ إليه، بل يجبُ الإنكارُ عليه، فإنْ لم يمكِنْ ذلِكَ لمن خافَ من لسانه قطعاً تعيَّنَ عليه أن يُداريَه بما استطاع، ويُدافِعَه بما أمكن، ولا يحِلُّ أن[1] يُعطى شيئاً ابتداءً؛ لأنَّ ذلك عونٌ على المعصية، فإنْ لم يجِدْ من ذلك بُدًّا أعطاه بِنيَّةِ وقاية العِرض، فما وَقَى به المرءُ عِرْضَه كُتِبَ له به صدقة. وقوله[2]: «لَأَنْ يمتلِئَ جوفُ أحدِكم قيحاً يَرِيهِ[3]» القيح: المِدَّة يُخالِطُها دم. يُقال منه: قاحَ الجُرْحُ يَقِيحُ وتَقيَّحَ وقَيَّحَ. و«يَرِيه» قال الأصمعي: هو من الوَرْيِ على مثال الرَّمْيِ، وهو أن يَدْوَى جوفُه، يُقال منه: رجلٌ مَوْرِيٌّ، مُشدَّدٌ غيرُ مهموز. وفي الصِّحاح: ورى القيحُ جوفَه يَرِيهِ وَرْياً إذا أكله[4]. وأنشد اليَزيديُّ:

قالتْ له وَرْياً إذا تَنحنحَا[5]

وهذا الحديث أحسنُ ما قيلَ في تأويله: إنَّه الذي قد غلَبَ عليه الشِّعرُ، وامتلأ صدرُه منه دونَ عِلْمٍ سواه ولا شيءٍ من الذِّكْرِ مِمَّن يخوضُ به في الباطل، ويسلكُ به مسالكَ لا تُحمَدُ له، كالمُكثرِ من اللَّغَطِ والهَذَرِ والغِيبةِ وقَبيحِ القول[6]. ومَنْ كان الغالبُ عليه الشِّعرُ لَزِمَتْه هذه الأوصافُ المذمومةُ الدَّنِيَّةُ، لحكم العادة الأدبيَّة. وهذا المعنى هو الذي أشارَ إليه البخاريُّ في «صحيحه» لمَّا بوَّبَ على هذا الحديث «باب ما يُكرَهُ أن يكون الغالِبُ على الإنسانِ الشِّعرُ». وقد قيل في تأويله: إنَّ المُرادَ بذلك

(١) قبلها في (م): له.

(٢) قبلها في (م): قلت.

(٣) قبلها في النسخ: حتى. وهي ليست في لفظ الحديث كما سلف.

(٤) الصحاح (ورى).

(٥) من قوله: قال علماؤنا... إلى هذا الموضع من المفهم ٥/٥٢٨-٥٢٩.

(٦) التمهيد ٢٢/١٩٦.

الشِّعرُ الذي هُجيَ به النبيُّ ﷺ أو غيرُه. وهذا ليس بشيء؛ لأنَّ القليلَ من هَجْوِ النبيِّ ﷺ وكثيرَه سواءٌ في أنَّه كفرٌ ومذموم، وكذلك هَجْوُ غيرِ النبيِّ ﷺ من المسلمين مُحرَّمٌ قليلُه وكثيرُه، وحينئذٍ لا يكون لتخصيص الذَّمِّ بالكثيرِ معنًى[١].

الرابعة: قال الشافعي: الشِّعرُ نوعٌ من الكلام، حَسَنُه كحسَنِ الكلام، وقبيحُه كقبيحِ الكلام، يعني أنَّ الشِّعرَ ليس يُكرَهُ لذاتِه، وإنَّما يُكرَهُ لمُضمَّناتِه، وقد كان عند العرب عظيمَ الموقع؛ قال الأوَّلُ منهم:

وجُرحُ اللِّسانِ كجُرْحِ اليدِ[٢]

وقال النبيُّ ﷺ في الشِّعر الذي يَرُدُّ به حسَّان على المشركين: «إنَّه لأسرَعُ فيهم من رَشْقٍ بالنَّبْل» أخرجه مسلم[٣]. وروى التِّرمِذيُّ[٤] وصحَّحه عن أنس[٥] أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ مكَّةَ في عُمرة القضاء وعبدُ اللهِ بنُ رَوَاحةَ يمشي بين يديه ويقول:

خَلُّوا بني الكفَّارِ عن سبيلِهِ ... اليومَ نَضْرِبْكُمْ على تنزِيلِهِ

ضرباً يُزيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ ... ويُذْهِلُ الخليلَ عن خليلِهِ

فقال عمر: يا ابن رَوَاحة، في حرَمِ اللهِ، وبينَ يدَيْ رسول الله ﷺ؟! فقال رسول الله ﷺ: «خَلِّ عنه يا عمر، فلهو أسرَعُ فيهم من نَضْحِ النَّبْل»[٦].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ لم يختلفِ القُرَّاءُ في رفع «وَالشُّعَراءُ» فيما علمتُ. ويجوز النصب على إضمار فعلٍ يُفسِّره «يَتَّبِعُهُمُ»[٧]، وبه قرأ

---

(١) المفهم ٥/ ٥٣٠ .

(٢) عجز لبيت، صدره: ولو عن نثا غيره جاءني. قائله امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص١٨٥ . والنَّثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن وسيئ. اللسان (نثا).

(٣) في صحيحه (٢٤٩٠).

(٤) في سننه (٢٨٤٧).

(٥) تحرف في النسخ إلى: ابن عباس.

(٦) من بداية المسألة إلى هذا الموضع من أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٤٢٩ .

(٧) إعراب القرآن ٣/ ١٩٦ .

عيسى بن عمر؛ قال أبو عبيد: كان الغالبَ عليه حبُّ النصب؛ قرأ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: ٣٨] و﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] و﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ [النور: ١]. وقرأ نافعٌ وشيبةُ والحسن والسُّلَميّ: «يَتْبَعُهُمْ»[١] مُخفَّفاً. الباقون «يَتَّبِعُهُمُ»[٢]. وقال الضَّحَّاك: تهاجى رَجُلانِ أحدُهما أنصاريٌّ والآخرُ مهاجريٌّ على عهد رسول الله ﷺ، مع كلِّ واحدٍ غُواةُ قومِه وهم السفهاء، فنزلت. وقاله ابن عباس[٣]. وعنه: هم الرُّواةُ للشِّعر[٤]. وروى عنه عليُّ بن أبي طلحة أنَّهم هم الكفار يَتْبعُهم ضُلَّالُ الجِنِّ والإنس. وقد ذكرناه. وروى غُضَيْف عن النبيِّ ﷺ: «من أحدثَ هجاءً في الإسلام فاقطعوا لسانه»[٥]. وعن ابن عباسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا افتتحَ مكةَ رنَّ إبليسُ رنَّةً وجمع إليه ذُرِّيَته، فقال: «ايئسوا أن تُريدوا أمةَ محمدٍ على الشِّركِ بعدَ يومِكم هذا، ولكِنْ أفْشوا فيهما ـ يعني مكة والمدينة ـ الشِّعْرَ[٦]».

السادسة: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ يقول: في كلِّ لغوٍ يخوضون[٧]، ولا يتَّبعون سَنَنَ الحقِّ؛ لأنَّ مَنِ اتَّبعَ الحقَّ وَعلِمَ أنَّه يُكتَبُ عليه ما يقولُه تَثَبَّتَ، ولم يكن هائماً يذهبُ على وجهه لا يُبالي ما قال[٨]. نزلت في عبد الله ابن الزِّبَعْرى ومُسافِعِ بن عبد مناف وأميَّة بن أبي الصلت[٩].

---

(١) الشاذة ص١٠٨ ، والكشاف ٣/ ١٣٣ .

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٦ . وقراءة نافع في السبعة ص٤٧٤ ، والتيسير ص١١٥ .

(٣) أخرجه عنهما الطبري ١٧/ ٦٧٥ .

(٤) أخرجه الطبري ١٧/ ٦٧٣ .

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ١٨/ (٦٦١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٢٣ : فيه إسحاق بن أبي فروة، وهو متروك.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٣١٨)، وفيه: «النَّوح» بدل «الشِّعر». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٣ : رجاله موثقون.

(٧) أخرجه الطبري ١٧/ ٦٧٦ عن ابن عباس ﷺ. ونقله الماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٩٠ عن قطرب.

(٨) إعراب القرآن ٣/ ١٩٦ .

(٩) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٦ .

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ يقول: أكثرهم يكذبون، أي: يدلُّون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه. وقيل: إنها نزلت في أبي عَزَّةَ الجُمَحيِّ حيث قال:

أَلَا أبلِغا عنِّي النبيَّ محمداً ... بأنَّكَ حَقٌّ والمليكُ حَميدُ

ولَكنْ إذا ذُكِّرتُ بَدْراً وأهلَهُ ... تَأَوَّهَ منِّي أعْظُمٌ وجُلودُ[1]

ثم استثنى شعر المؤمنين: حسان بن ثابت وعبد الله بن رَوَاحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان على طريقهم من القول الحق، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في كلامهم[2] ﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ وإنما يكون الانتصار بالحقِّ، وبما حدَّه اللهُ عزَّ وجلَّ، فإن تجاوزَ ذلكَ فقدِ انتصرَ بالباطل[3].

وقال أبو الحسن البرَّاد[4] لمَّا نزلَتْ: «والشُّعراءُ»: جاءَ حسان وكعب بن مالك وابن رواحة يبكون إلى النبيِّ ﷺ، فقالوا: يا نبيَّ الله، أنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية، وهو تعالى يعلمُ أنَّا شُعراءُ؟ فقال: «اقرؤوا ما بعدها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ـ الآية ـ أنتم ﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ أنتم»[5] أي: بالردِّ على المشركين.

قال النبيُّ ﷺ: «انْتَصِروا ولا تقولوا إلَّا حقًّا، ولا تذكروا الآباءَ والأُمَّهات» فقال حسان لأبي سفيان:

هجوتَ محمداً فأجَبْتُ عنهُ ... وعندَ اللهِ في ذاك الجزاءُ

وإنَّ أبي ووالدتي وعِرْضي ... لعِرْضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

أتشتُمُهُ ولستَ له بِكُفءٍ ... فشَرُّكما لخيرِكما الفِداءُ

---

(١) البيتان في طبقات فحول الشعراء ٢١/ ٢٥٣-٢٥٤ ، وجمهرة الأمثال ٢/ ٣٨٧ .

(٢) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٨٧ .

(٣) إعراب القرآن ٣/ ١٩٦ .

(٤) واسمه سالم مولى تميم الداري كما وقعت تسميته في رواية الطبري، وقد ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩/ ٣٥٦ . وتحرف في النسخ إلى: المبرد.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٨/ ٥١٨ ، والطبري ١٧/ ٦٨٢ .

لساني صارمٌ لا عيبَ فيهِ وبحري لا تُكدِّرهُ الدِّلاءُ[١]

وقال كعب: يا رسول الله، إنَّ الله قد أنزل في الشعر ما قَدْ علمتَ، فكيف ترى فيه؟ فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ المؤمنَ يُجاهِدُ بنفْسِه وسيفهِ ولسانهِ، والذي نفسي بيدهِ لَكأنَّ ما ترمونَهم به نَضْحُ النَّبْل»[٢].

وقال كعب:

جاءت سَخِينةُ كي تُغالِبَ ربَّها وَلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلَّابِ

فقال النبيُّ ﷺ: «لقد مدحَكَ اللهُ يا كعبُ في قولِكَ هذا»[٣].

وروى الضَّحَّاك عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾: منسوخٌ بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[٤]. قال المَهْدَويُّ: والصحيح[٥] عن ابن عباس أنَّه استثناء.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ في هذا تهديدٌ لمنِ انتصرَ بظلم[٦]. قال شُرَيح[٧]: سيعلَمُ الظالمون كيفَ يَخْلُصون من بين يَدي اللهِ عزَّ وجلَّ؛ فالظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر النُّصرةَ. وقرأ ابن عباس: «أَيَّ مُنْفَلَتٍ يَنْفَلِتُونَ» بالفاء والتاء[٨]، ومعناهما واحد. ذكره الثعلبي[٩].

---

(١) الأبيات في السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤٢٤ .

(٢) أخرجه أحمد (٢٧١٧٤) من حديث كعب بن مالك ﷺ.

(٣) أخرجه الحاكم ٣/ ٤٨٩ من حديث البراء بن عازب ﷺ بنحوه. والسَّخينة: طعام حار يصنع من دقيق وسمن، أغلظُ من الحساء، وأرقُّ من العصيدة. اللسان (سخن).

(٤) ذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٧٢ . وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٧١)، وأبو داود (٥٠١٦) من طريق عكرمة، عن ابن عباس ﷺ.

(٥) في (م): وفي الصحيح.

(٦) إعراب القرآن ٣/ ١٩٦ .

(٧) قوله: «قال شريح» من (م).

(٨) زاد المسير ٦/ ١٥٢ .

(٩) الشاذة ص١٠٨ . وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٥٢ عن ابن عباس وأبي بن كعب وأبي =

ومعنى: ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾: أيَّ مصيرٍ يصيرون، وأيَّ مَرْجِعٍ يرجعون؛ لأنَّ مصيرَهم إلى النَّار، وهو أقبَحُ مصير، ومرجِعُهم إلى العقاب[١] وهو شرُّ مَرْجِع. والفرق بين المُنقلَبِ والمَرجِعِ أنَّ المُنقلبَ الانتقالُ إلى ضِدِّ ما هو فيه، والمرجعُ العَوْدُ من حالٍ هو فيها إلى حالٍ هو فيها إلى حالٍ كان عليها، فصار كلُّ مرجعٍ مُنقلَباً، وليس كلُّ مُنقلَبٍ مرجِعاً، والله أعلم، ذكره الماوردي[٢]. و«أيَّ» منصوبٌ بـ «يَنْقَلِبُونَ» وهو بمعنى المصدر، ولا يجوز أن يكون منصوباً بـ «سَيَعْلَمُ» لأنَّ أيًّا وسائرَ أسماءِ الاستفهامِ لا يعمَلُ فيها ما قبلَها فيما ذكَر النَّحْويُّون؛ قال النَّحَّاس: وحقيقةُ القولِ في ذلك أنَّ الاستفهام معنًى وما قبله معنًى آخر، فلو عمِلَ فيه ما قبلَه لَدخَلَ بعضُ المعاني في بعض[٣].

= العالية، وأبي مجلز، وأبي عمران الجوني، وعاصم الجحدري.

(١) في (م): العقاب.

(٢) في النكت والعيون ٤/ ١٩١ .

(٣) إعراب القرآن ٣/ ١٩٦ .